مذكرات أبو إبراهيم الكبير
(خليل محمد عيسى عجاك)
القائد القسامي لثورة ٣٦-٣٩

الطبعة الاولى ٢٠١٠

المجلس الاعلى للتربية والثقافة

في منظمة التحرير الفلسطينية

بدعم من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (اليكسو)

المجلس الاعلى للتربية والثقافة

في منظمة التحرير الفلسطينية

مذكرات أبو إبراهيم الكبير

(خليل محمد عيسى عجاك)

القائد القسامي لثورة ٣٦-٣٩

إعداد وتقديم: نزيه أبو نضال

هذا الكتاب

في إطار اهتمامنا بتسجيل وتوثيق تاريخ الثورة الفلسطينية، بل الثورات الفلسطينية، وللحفاظ على التجربة ومخزون الذاكرة، يأتي هذا الكتاب الفريد الذي يوثق ملامح هامة من تجربة مناضل وقائد وطني هو (أبو إبراهيم الكبير) أحد القادة العسكريين لثورة١٩٣٦، وأحد الشهود على أول تجربة كفاح مسلح قام بها الشيخ عز الدين القسام في أحراش يعبد.. يروي ذكرياته ويومياته، ويتحدث عن البدايات، وروح الفداء، ورفاق الدرب، والثورة المسلحة، والناس البسطاء، والالتفاف الجماهيري، والعمق القومي، وشح الإمكانيات، وقلة السلاح، وحرب الشعب وأساليب الكفاح، وبحثه عن اكتساب المعرفة بالسلاح وامتلاك سر القوة.

قائد عسكري، قلبه لوطنه وشعبه، يوثق مسيرته ومسيرة رفاقه وشعبه ببساطة، وتلقائية.. ويؤكد أنه عسكري لا يتدخل بالسياسة، ولا يمارس الاعيبها ومناوراتها. يرتحل عن وطنه في زمن حروب القوى الكبرى التي قسمت العالم أو اقتسمت النفوذ في العالم، يرتحل ليكتسب معرفة بفنون الحرب، وأساليبها، لم يكن يأبه بصراع الأمم، فصراعها على السيطرة والتفوق على حساب الشعوب الضعيفة.. كانت الحرب العالمية الثانية لا تعنيه بقدر ما كان يعنيه تحرر وطنه فلسطين.

أدلى أبو إبراهيم الكبير بشهادته بأمانة وصدق، فكانت شهادة على زمن النهوض والكبوة، انها شهادة على تجربة أصبحت تراثاً تنهل منه الأجيال.

أعد ووثق ودرس هذه المذكرات وبوّبها وحققها، الكاتب والناقد والباحث الكبير غطاس صويص، والذي يمتلك قامة كفاحية عالية، فقد كان أيضاً من أوائل المثقفين الذين التحقوا بقوات

العاصفة، ومارسوا الكفاح المسلح، ومن أوائل الإعلاميين الذين أسسوا الإعلام الفلسطيني.

ومن أوائل الأدباء الذين ساهموا في تأسيس الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين.

ان المجلس الأعلى للتربية والثقافة لفخور بنشر وتعميم تجربة القائد الوطني أبو إبراهيم الكبير، أحد أبرز الرموز العسكرية لثورة ١٩٣٦، وفخور بالجهد الذي بذله الباحث النزيه غطاس صويص، والمعروف أيضاً باسم (نزيه أبو نضال)، وكذلك الجهد الذي بذله المثقف والكاتب المعروف عبد الفتاح القلقيلي الذي تابع كل مراحل إعداد وصياغة هذا الكتاب، وأشرف على تدقيقه وحسن إخراجه.

يحيى يخلف

رئيس المجلس الأعلى للتربية والثقافة

تمهيد

هذه المذكرات

في شهر نيسان من عام ١٩٧٧، أي قبل وفاته بحوالي سنتين، كان أبو إبراهيم الكبير (خليل محمد عيسى عجاك) أحد أبرز قادة ثورة الـ ٣٦ الفلسطينية، في زيارة لابنه صلاح (عضو قيادة إقليم فتح) في بغداد، حيث ولدت فكرة إجراء حديث مسجل ومطول معه..

كان عمر أبو إبراهيم آنذاك يناهز الثمانين عاماً، إلا أنه كان يحتفظ بصحوه كاملاً، كما كان يمتلك ذاكرة مدهشة تختزن أدق الحوادث والتفاصيل.

استغرق حديث أبو إبراهيم عشرين شريطاً مسجلاً، ضمّنها خلاصة تجربته النضالية الطويلة، وتعتبر بهذا أطول مذكرات كاملة لأحد القادة الميدانيين لثورة الـ ٣٦. فالمكتبة الفلسطينية لا تمتلك سوى لقاءات متفرقة مع قادة هذه الثورة، قام بها عدد من الباحثين الفلسطينيين، لعل من أبرزهم، حتى ذلك التاريخ، حسين عمر حماده، وعلي حسين خلف، وناجي علوش.

نشير إلى أن هذا الحوار قد تم بحضور ومشاركة صلاح خليل عيسى، نجل القائد أبو إبراهيم.

بعد ذلك بسنوات بدأ يتحقق إنجاز كبير بتوثيق ما يسمى بالتاريخ الشفوي الفلسطيني، ولعل هذه المذكرات واحدة من البدايات المبكرة لهذا التاريخ.

أما على صعيد المساهمة الكتابية فإن القادة القساميين الذين ينتمون بأكثريتهم الساحقة لأصول فلاحية فقيرة، فلم يتركوا لنا إلا كتاب صبحي ياسين "الثورة العربية الكبرى في فلسطين"، ومقالة يتيمة للقسامي إبراهيم الشيخ خليل، ومذكرات فوزي القاوقجي ١٩٧٥.

وظلت المذكرات من نصيب السياسيين والمؤرخين الذين لم يلعبوا دوراً ميدانياً مباشراً في الثورة المسلحة (٣٦-٣٩) أو لاحقا مع جيش الإنقاذ أو قوات الجهاد المقدس، أواخر الأربعينيات.

وفقط بعد تسجيل هذه المذكرات بسنوات استقبلت المكتبة الفلسطينية المزيد من المذكرات لعدد من الزعماء وقادة الثورة في ميادين مختلفة من بينها: يوميات أكرم زعيتر، ١٩٨٠، مذكرات عجاج نويهض، ١٩٩٣، مذكرات بهجت أبو غربية، ١٩٩٣، مذكرات محمد عزة دروزة"، ١٩٩٤، مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني، ١٩٩٩، مذكراتي لـ ذو الكفل عبد اللطيف، ٢٠٠٠، مذكرات رشيد الحاج إبراهيم ٢٠٠٥. وسيجري التطرق إليها في حينه.

جرى تسجيل مذكرات القائد القسامي أبو إبراهيم الكبير خلال جلسات طويلة ومتفرقة، وتخللتها بعض الأسئلة لاستكمال مختلف جوانب التجربة النضالية الطويلة التي عاشها في مختلف المواقع.

وسيكون من الطبيعي والحال كذلك أن يحدث خلال عملية تسجيل المذكرات، بعض التكرار أو أن تتوه، بفعل عامل الزمن، بعض الوقائع والمعلومات. ولا ننسى أن هذه المذكرات، رغم يقظة صاحبها، قد سجلت بعد مرور حوالي نصف قرن على وقوعها، ودون العودة إلى الوثائق والكتب التاريخية. وهذه إحدى إشكالات التأريخ الشفوي.. مما احتاج منّا بالضرورة

إلى تدقيق ومراجعة، وعمليات توثيق وفق المصادر العلمية التاريخية المؤكدة، وكذلك في البحث عن التقاطعات مع ما صدر لاحقاً من مذكرات ومؤلفات وأبحاث وشهادات تتصل بهذه المذكرات، في مراحلها وميادينها المختلفة، وثبتنا ما هو متقاطع منها في هوامش كل فصل، كي تضيء أو تضيف وربما تصوّب بعض ما أورده أبو إبراهيم في هذه المذكرات التي تمتد على مساحة ٨٠ عاما، وتشمل فلسطين وسوريا ولبنان والعراق.. وصولا إلى اليونان وألمانيا وروسيا واليابان وفرنسا ثم عودة إلى لبنان وسوريا وفلسطين وأخيراً في الأردن مستقره الأخير.

إلا أنه رغم كل ما يمكن أن يسجل على هذه المذكرات من ملاحظات تظل لها أهمية فائقة، لأنها تتناول، ربما لأول مرة، وبهذا الشمول تجربة الثورة الفلسطينية من الداخل، وعلى لسان واحد من أبرز قادة التنظيم القسامي، قبل أن يتولى دورا رئيسياً في قيادة ثورة الـ ٣٦-٣٩، ثم في معارك جيش الإنقاذ مطلع عام ١٩٤٨ في شمال فلسطين، كما سنرى.

من هنا فإن هذه المذكرات تشكل مصدراً أساسيا لا غنى عنه لكل من أراد قراءة أو كتابة التاريخ الفلسطيني المعاصر في المرحلة الحاسمة الممتدة من منتصف العشرينيات إلى أواخر الأربعينيات. ولا بد من الانتباه خلال متابعة هذه المذكرات أن صاحبها كما محاوريه في بغداد كانوا مشدودين إلى التجربة القتالية العسكرية لأبو إبراهيم ورفاقه، ولكن يمكن للعين الفاحصة أن تلتقط إشارات بالغة الرهافة والأهمية عن التاريخ الاجتماعي والثقافي الفلسطيني وصلته بالتاريخ العربي والوجدان القومي.

نشير إلى أن أبو إبراهيم كنّي بالكبير تمييزا له عن القائد الآخر أبو إبراهيم الصغير، وهو توفيق إبراهيم.

وأخيراً، لقد وجدنا، تسهيلا لمتلقي هذه المذكرات، وللاستفادة القصوى منها، بالنسبة

للباحثين والمهتمين، أن نقسمها إلى فصول ومراحل زمنية وفق تطور الأحداث التي رافقت مسيرة أبو إبراهيم الكبير، في المواقع والميادين والأقطار المختلفة التي وجد فيها، داخل فلسطين وخارجها، وأحياناً بالتوقف عند عناوين معينة عابرة للتسلسل الزمني، مثل علاقة القسّاميين بالمفتي الحسيني، أو في التعامل مع العملاء والأعداء، كما لجأنا إلى اعتماد العناوين الفرعية الدالّة في كل فصل أو مرحلة. وننبه بأننا سنتعامل لغويا مع "أبو إبراهيم" كلقب وليس ككنية، أي لن نعربه إعراب الأسماء الخمسة، بل سنبقيه "أبو إبراهيم" في حالات النصب والجر أيضا.

وفي النهاية لا بد من توجيه التحية لمن يستحقها: نينا جدع التي تكبدت عناء طباعة الأوراق التي فُرّغ التسجيل عليها، بخط يد رديء، يحتاج إلى أكثر من منجم مغربي لفك طلاسمه.

ثم كلمة شكر وتقدير لثلاثة ما كان لهذه المذكرات أن ترى النور الآن، وعلى هذا النحو، بدون حماسهم للمشروع ودعمهم له، وهم الأصدقاء: يحيى يخلف، محمد أبو ميزر، عبد الفتاح القلقيلي.

وفي الختام هذه بعض ذاكرتنا الوطنية، بكل ما لها وعليها، ونحن حين نرتد إليها فإنما هي رجعة القوس كي ينطلق السهم للأمام أبعد، وأن يصيب الهدف بدقة أفضل.. هكذا نتعلم من مدونات تاريخنا النضالي الفلسطيني والعربي.

١٥/١٢/٢٠٠٩

ن. أ. ن

محطات في مسيرة أبو إبراهيم الكبير

هذه المحطات من رحلة حياة ونضال القائد أبو إبراهيم الكبير، قد تساعد في الإمساك بخط التسلسل الزمني للوقائع والأماكن.. ذلك أن المذكرات لم تُرو دائماً ضمن تتابع زمني بل وفق تداعيات الذاكرة في كثير من الأحيان، وفي الإجابة على تساؤلات متفرقة ومتباعدة في أحيان أخرى.

- الولادة: أواخر القرن ١٩ في حيفا. وهو من قرية المزرعة الشرقية منطقة رام الله.
- حين بلغ سن الخامسة أو السادسة، غادرت الأسرة إلى قرية شفا عمرو، وعملت في الزراعة.
- بعد وفاة أبيه وسجن أخيه عمل في الفلاحة لإعالة أسرته، وعمره دون الـ ١٥.
- عام ١٩٢٠، انتقل مع العائلة إلى حيفا، وعمل موظفاً في البريد.
- عام ١٩٢٥حين اندلعت الثورة السورية ضد الفرنسيين قرر المشاركة فيها، ولكن الشيخ إسماعيل النقشبندي ثناه عن عزمه، فليس لدى أسرته معيل غيره.
- ترك عمله في البريد وفتح في سوق المدينة دكاناً لبيع الصوف والخيش والحبوب.
- عام ١٩٢٧، تعرف على الشيخ القسام وكان من بين المترددين على مجالسه، والحريصين على سماع دروسه وخطاباته، وفي العام التالي فاتح القسام بضرورة البدء بالعمل.
- عام ١٩٢٨التحق بتنظيم القسام السري كعضو مؤسس في قيادته، وابتدأ في التدريب وتأمين السلاح، والمباشرة بالعمليات العسكرية الأولى.
- ١٩٣١ وقعت عملية نهلال، وما تلاها من المحاكمة والاعتقال الذي استمر تسعة شهور.

• عام ١٩٣٥ اختلف مع الشيخ القسام على توقيت البدء بالثورة قبل استكمال الاستعدادات الضرورية.

• عام ١٩٣٥ خروج القسام من حيفا واستشهاده فجر يوم ٢٠ تشرين الثاني، مع عدد من رفاقه في معركة بطولية مع البريطانيين في أحراش يعبد.

• في ١٥ نيسان من العام ١٩٣٦، انفجار الثورة الفلسطينية الكبرى بقيادة القساميين: أبو إبراهيم وفرحان السعدي، وأحمد عطية.

• ١٢تشرين أول ١٩٣٦ توقف مؤقت للثورة وخروج أبو إبراهيم إلى الشام انتظارا لتقرير لجنة بيل البريطانية.

• ٢٦ أيلول ١٩٣٧، وبعد صدور قرار لجنة بيل بتقسيم فلسطين، اندلعت الثورة مجدداً، وخاصة في مناطق الجليل الأعلى.. حيث قاد العديد من المعارك الناجحة، وكان يوقع رسائله باسم " المتوكل على الله أبو إبراهيم ".

• رصدت بريطانيا مبلغ ٥٠٠ جنيه مكافأة لمن يساعد في القبض عليه.

• عام ١٩٣٩ توقفت الثورة المسلحة مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، وخرج أبو إبراهيم وآخرون إلى سوريا ثم إلى العراق.

• عام ١٩٤١، شارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضد البريطانيين.

• عام ١٩٤١ غادر بغداد إلى الموصل ومنها إلى شتوره في لبنان.

• عام ١٩٤١ غادر حلب إلى ألمانيا ولكنه توقف في اليونان وتدرب هناك في معسكر ألماني.

• عام ١٩٤٤ أرسل مع القوات الألمانية إلى الجبهة الروسية للقتال فيها.

• عام ١٩٤٥ بعد هزيمة ألمانيا غادر برلين إلى فرنسا ومنها إلى بيروت ثم سوريا.

- عام ١٩٤٦ بدأ التحضير لثورة جديدة في فلسطين وعرض على الشيخ تقي الدين النبهاني في دمشق أن يتولى قيادة هذه الثورة ولكن الاخير اعتذر.
- مع مطلع عام ١٩٤٨ التحق بقوات جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي، وتولى قيادة منطقة الجليل تحت إمرة أديب الشيشكلي.
- في ١٩٤٨/١/٢١ قاد معركة ضد مستعمرة جدين في الجليل، ودب الخلاف على إثرها مع الشيشكلي.
- عام ١٩٤٨ التجأ إلى دمشق، ومنها إلى عمان.
- بدأ مبكراً مع بعض القساميين لإطلاق الثورة مجددا من الأردن، لكن المحاولات توقفت مع بروز الحركة الفدائية للضابط المصري مصطفى حافظ في غزة.
- قي نيسان ١٩٧٧ وخلال زيارته لابنه صلاح في بغداد جرى تسجيل هذه المذكرات.
- بقي في الأردن حتى وفاته عام ١٩٧٩.

الفصل الأول

١ـ البدايات

تحتفظ ذاكرة أبو إبراهيم بتفاصيل وافية عن مرحلة الطفولة والنشأة الأولى. والمعلومات المتوفرة لدينا تشير إلى أنه ينتمي إلى عائلة فلاحية من قرية المزرعة الشرقية قضاء رام الله، وأن ولادته كانت في حيفا، أواخر القرن التاسع عشر، وعن هذه الفترة يقول أبو إبراهيم:

" قبل أن أولد رحل والدي من المزرعة الشرقية إلى حيفا حيث ولدت، وبقينا فيها إلى أن بلغت سن الخامسة أو السادسة، ثم غادرنا حيفا إلى قرية شفا عمرو، حيث عمل أخي الأكبر في الزراعة، أما الوالد فقد كان مسناً، ولا يستطيع العمل. وكان على أخي أن يعيل أسرتنا المكونة من والديه وأخته وأخيه الأصغر الذي هو أنا.

وبقينا في شفا عمرو إلى أن نشبت الحرب العالمية الأولى، وفي تلك الفترة اتهم أخي بحادث دهس وأدخل السجن، وبقي فيه طوال سنوات الحرب (١٩١٤ ـ ١٩١٨) وبات مطلوباً مني أن أعمل لإعالة العائلة. وكان سني وقتها بين عشرة وخمس عشرة سنة.

صرت أشتغل بدوري في الفلاحة، وبقيت على هذه الحال حتى سنة ١٩٢٠، حيث انتقلت إلى حيفا.

في تلك السنوات، وأنا أعمل في شفا عمرو، انتشرت الأمراض، ومات كثير من الناس، ونفق الطرش والدواب من الأمراض وقلة المراعي، وحدثت مجاعة كبيرة، وصار الناس يقومون بعمليات التشليح والسطو فقتل كثيرون وأخذت الوحوش تهاجم القرى.

كانت سنوات قاسية وصعبة، توفي الوالد وتوفيت الوالدة، والأخت تزوجت. وبعد انتهاء الحرب خرج أخي من السجن، فانتقلت إلى حيفا، حيث اشتغلت موظفاً في البريد".

٢ـ في حيفا

آنذاك كانت مدينة حيفا مركز استقطاب هائل لعشرات الألوف من فقراء الريف الفلسطيني، ومن بينهم عائلة أبو ابراهيم. وقد شكل هؤلاء حزام بؤس حول ميناء حيفا، على شكل بيوت من الصفيح والتنك. وإلى هؤلاء أشار الشيخ عز الدين القسام بعد ذلك بأنهم هم مادة الثورة المسلحة، أما الأغنياء فإن أكثر ما يفعلونه هو السير في مظاهرة مصرح بها من قبل الانتداب البريطاني.[١]

في مدينة حيفا بدأ وعي أبو إبراهيم السياسي والوطني بالتبلور، ذلك أن المدينة قد شكلت معتركاً يومياً للصراع مع المهاجرين اليهود وحماتهم البريطانيين، كما كانت مطلة على أحداث وتطورات المنطقة العربية.

إن مرتكز الوعي النضالي لدى الجماهير الفلاحية التي ينتمي إليها أبو إبراهيم ، يستند إلى مسلمة بسيطة عبر عنها بالقول:

" كانت عندي فكرة قديمة بأن واجب كل عربي ومسلم أن يدافع عن وطنه وعن أمته، فلما صارت الثورة السورية ضد الفرنسيين (١٩٢٥) قررت المشاركة فيها، فلا فرق عندي، سوريا ولبنان كلها بلاد عربية. في حيفا كان عندنا شيخ من سوريا أسمه إسماعيل النقشبندي، أصله كردي، وهو عالم دارس في الأزهر، ذهبت إليه وعرضت رغبتي في الانضمام للثورة السورية.

سألني: هل عندك أولاد؟

قلت: عندي عائلة وأولاد.

سألني: هل لدى عائلتك دخل يكفيهم في غيابك؟

قلت: ما عندهم دخل إلا شغلي في البريد.

قال لي: لا يجوز أن تترك العائلة، حتى لو أردت أن تذهب إلى الجهاد، وتشترك في الثورة السورية". هذا الحس العروبي والجهادي عبر عنه أبو إبراهيم مرة ثانية عند حديثه عن الشيخ عز الدين القسام ودوره القيادي في فلسطين:

"إن فلسطين وسوريا في نظر الوطنيين المخلصين بلد واحد، ولا فرق بينهما، ولهذا صار القسام يدعو الناس للثورة".

الشيخ القسام نفسه حاول وهو في جبلة السورية أن يتطوع في الثورة الليبية ضد الايطاليين عام ١٩١١، ولكنه لم يتمكن من ذلك بسبب الموقف التركي.[٢]

ولكن أبو إبراهيم الكبير ما لبث بعد ذلك، كما سنرى، أن ترجم قناعاته العروبية حين شارك في الثورة العراقية التي قادها رشيد عالي الكيلاني ضد البريطانيين عام ١٩٤١.

في حيفا وبعد أن ترك عمله في البريد فتح أبو إبراهيم في سوق المدينة دكاناً لبيع الصوف والخيش والحبوب، وذكر إلى جانب ذلك أنه كان يعمل في نفس الدكان سمكريّاً يصلّح "البريموسات".

في هذه المدينة بدأت رحلة نضال أبو إبراهيم الكبير، خاصة بعد أن تعرف على الشيخ عز الدين القسام.[٣]

الفصل الثاني

١- تجربتي مع القسام

في أواخر عام ١٩٢٠ وصل إلى حيفا الشيخ عز الدين القسام هاربا من مطاردة الفرنسيين له، بسبب مشاركته في الثورة السورية. وكانت سلطات الاحتلال الفرنسي بعد فشل الثورة قد أصدرت على القسام حكماً بالإعدام.

توافق وصول القسام إلى حيفا مع تفاقم أخطار الهجرة الصهيونية إلى فلسطين. وكان أن لعب القسام دوراً حاسماً في حياة أبو إبراهيم ، وفي المسار اللاحق للثورة الفلسطينية.وهكذا شاءت الظروف أن يأتي القسام إلى فلسطين، ليسهم في الثورة الفلسطينية، بدل أن يذهب أبو إبراهيم إلى الشام للمشاركة في الثورة السورية.

عن القسام يقول أبو إبراهيم:

"الشيخ عز الدين القسام من سوريا، درس في الأزهر، وقاوم الاستعمار الفرنسي لسوريا مقاومة شديدة، منذ أول أيام الاحتلال، فطارده الفرنسيون، ولجأ بسبب ذلك إلى فلسطين. في حيفا اشتغل خطيباً بجامع الاستقلال. وكان أيضاً مأذوناً شرعياً لعقود الزواج. ما هان على الشيخ القسام رؤية المهاجرين اليهود المسلحين وهم يتدفقون على فلسطين، تحت حماية المستعمرين الانكليز تنفيذاً لوعد بلفور. الشيخ القسام ما قدر يتحمل... إن فلسطين وسوريا في نظر الوطنيين المخلصين هما بلد واحد ولا فرق بينهما، فصار يدعو الناس في خطاباته واجتماعاته للثورة، وللدفاع عن البلاد، وللوقوف صفا واحدا ضد الاستعمار البريطاني، ومقاومة الهجرة اليهودية.

وصار القسام عضوا في جمعية الشبان المسلمين في حيفا،[٤] يعطي محاضرات في

الجمعية، وكان يبدأ المحاضرات بالدروس الدينية، ثم يتبعها بالتحريض على الثورة.

وكان في حيفا آنذاك مشايخ آخرون منهم الشيخ صالح العشماوي، والشيخ إسماعيل النقشبندي، وهما سوريان أيضا ، ولكن الشيخ القسام هو الذي كان في أحاديثه وخطبه يحرض على الثورة، ويدعو الناس إلى المقاومة الشديدة.

قي تلك الأثناء كانت الهجرة اليهودية تتكاثر، والمهاجرون اليهود يأتون ومعهم السلاح، ويستعملونه ضد العرب العزل، مما أدى إلى حدوث اشتباكات وصدامات. كانت استفزازات اليهود وغطرستهم لا تحتمل. وكان الانكليز يسمحون لهم بالتسلح، وإقامة بنايات وتحصينات على أسس عسكرية حربية يتحصنون فيها، ويطلقون النار على العرب ويقتلون منهم، والناس لا تستطيع أن تحمل سلاح وتقابلهم بالمثل، ولم يكن بأيديهم سلاح، لأن الانكليز كانوا يتشددون كثيراً بمنعه عن العرب.

الشيخ القسام في خطاباته وأحاديثه ، أخذ يتشدد أكثر في التحريض على الثورة، داعيا الناس إلى المقاومة الشديدة. وكان ذلك حوالي العام ١٩٢٦".

وكان من الطبيعي أن يجد أبو إبراهيم في خطابات وأحاديث الشيخ عز الدين القسام صدى لقناعاته وحماسته الوطنية، وأن يحرص بالتالي على سماعه والتقرب منه.

إن رجل الدين يحتل مكانة بارزة وهامة في حياة الجماهير الفلاحية التي ينتمي أبو إبراهيم إليها، وتتعاظم هذه المكانة حين يمتلك رجل الدين مزايا وصفات أخلاقية ومسلكية عالية، وثقافة واسعة وشخصية جذابة وقدرات خطابية مؤثرة..الخ

إن رجل الدين في مثل هذا الوسط الفلاحي، إذا ما التقى موقفه الوطني والسياسي مع مصالح ومشاعر الجماهير الفلاحية الواسعة، لا يلبث بالضرورة أن يلعب دوراً قيادياً بارزاً، وهذا ما حدث بالضبط مع الشيخ عز الدين القسام.

ولنذكر هنا فقط كيف أن أبو إبراهيم الكبير نفسه، قد ذهب إلى الشيخ النقشبندي ليستشيره، وبالأصح يستفتيه، في المشاركة الجهادية بالثورة السورية ضد الفرنسيين.

يجمع كل من عايش الشيخ عز الدين القسام أنه كان يمتلك مزايا عالية جعلته يحتل مكانة بارزة في منطقة حيفا والأرياف الشمالية.. فهو إلى جانب ورعه وتقواه، كان زاهدا في متع الحياة وزخارفها، حسن السيرة والمعاشرة، محدثا لبقا وخطيبا بارعا، وكان يرى في الدين قوة للحياة والجهاد لمواجهة المستعمرين الأجانب، وليس مجرد فروض للعبادات. وتمتع القسام فوق ذلك بامتلاك معارف وخبرات واسعة، كما كان يتقن اللغة الانكليزية قراءة وكتابة.

وكانت لديه قدرات كبيرة على إقامة أوسع الاتصالات وأعمقها بمختلف طبقات الشعب وقواه السياسية، إلا إن حسه الطبقي جعله يضع ثقته العملية والنضالية في الجماهير الشعبية الكادحة.

وفي هذا السياق يقول القسام: " لقد اشتعل رأسي شيباً وخبرتي الطويلة في الحياة تجعلني أرجو كثيرا من الفلاحين والعمال. فهم واثقون بالله مؤمنون بجنات الخلد واليوم الآخر، ومن كانت هذه صفاته كان أقرب الناس إلى التضحية وأجرأهم على الإقدام، أضف إلى ذلك أنهم أقوى بنية وأكثر احتمالا للمشاق والمتاعب"، ولهذا فهو يؤكد بأنه " لم يبق على هذه الأمة إلا أن تعتصم بما في قلوب الفلاحين والعمال من بساطة وإيمان وبعد عن بهارج المدينة".[٥]
وسنلاحظ كيف أن أبو إبراهيم قد أورد في أكثر من مناسبة رفضه احتساء الخمر مع القيادة العسكرية الألمانية، واستهجانه لسلوك قيادة المجاهدين في جيش الإنقاذ التي أقدمت على احتساء الخمر عشية المعركة! وكان قد حاول قبل ذلك، في أواخر الأربعينيات، إقناع الشيخ تقي الدين النبهاني بأن يتولى قيادة الثورة، لأنه يمثل بالنسبة له صورة أخرى للشيخ القسام.

لهذا كله لم يكن غريبا أن تلتف حول القسام في منتصف العشرينيات حلقات المريدين والأتباع من أوساط الجماهير الكادحة والمؤمنة، وقد لاحظ محمد عزة دروزة بأن " الحلقات الجهادية السرية التي باشرت العمليات المسلحة منذ عام ١٩٣٠ بقيادة القسام، قد خرجت من بيوت التنك والخشب في ضواحي حيفا". وبأن القسام كذلك كان على اتصال وثيق بالحركة العمالية، ويمتلك نفوذا مؤثرا في أوساطها".

وهكذا نجد إن الطابع الأساسي للتنظيم القسامي هو طابع فلاحي، ونذكر هنا أنه من بين ٤٠ عضوا أساسياً عرفت هويّاتهم الطبقية نجد ٣٦ منهم ينتمون إلى أصول فلاحية، أي ما نسبته ٩٠٪.

***

يروي أبو إبراهيم أنه كان من المترددين على مجالس الشيخ القسام، ومن الحريصين على سماع دروسه وخطاباته، يقول:

" أنا ألفت حديث الشيخ القسام، وصرت في أكثر أوقات فراغي أجتمع به، وقد أمضيت بذلك وقتاً طويلاً، وقد كنت متأثراً كثيراً بحديث الشيخ، فرأيت بأنه لا يجب أن تبقى المسألة مجرد حديث. وذات يوم قلت له: لقد حكيت طويلاً، وتأثرنا نحن بحديثك، لكنه يظل مجرد حديث، فهل هناك عمل بعده؟

فأجاب الشيخ: في عمل".

ومن المعروف إن القسام كان يدقق كثيراً في اختيار أعضاء التنظيم، ويخضعهم لفترة طويلة من المراقبة والمتابعة والاختبار، وعندما يصل أحد المريدين إلى ما وصل إليه أبو إبراهيم، ويطالب بضرورة العمل، كان القسام يضمه إلى خلية تنظيمية، دون أن يعرف بقية أعضاء وخلايا التنظيم الأخرى، بل ربما اعتقد العضو إن هذه الخلية هي الأولى التي بدأ بها القسام العمل التنظيمي.

٢- الجمعية السرية

يقول أبو إبراهيم: "تعرفت على الشيخ القسام عام ١٩٢٧، وفي العام التالي فاتحته بضرورة العمل.

وراجعته أول وثاني وثالث، فاتفقنا على تأليف جمعية سرية، وفعلا صرنا أنا والشيخ نلاحظ الشباب الذين يحضرون الدروس، ويتأثرون بها. فمن وجدنا عنده قابلية نقوم بزيارته، ونأخذ موافقته على الانضمام للجمعية. وبالفعل تأسست الجمعية سنة ١٩٢٨، وأخذنا بيتاً منفردا وبدأنا نجتمع فيه. تأسست الجمعية بادىء الأمر بحوالي ١٥ شخصاً، وهم:

١. الحاج حسين حمام
٢. وأنا (أبو إبراهيم الكبير)
٣. محمود زعرور
٤. العبد قاسم
٥. موسى قاسم
٦. محمد أبو العيون
٧. اسماعيل البياض
٨. محمد صالح (أبو خالد)
٩. أبو محمود الغوري
١٠. يوسف أبو دره
١١. ذيب ديوان
١٢. احمد الفارين

١٣. الشيخ عطية أحمد

١٤. محمود خضر

١٥. أبو درويش (من عصيرة قضاء نابلس)

١٦. نايف المطلق"

وهذا بالطبع بالإضافة إلى الشيخ القسام.

وعن آليات اختيار العضو في التنظيم القسامي يقول:

"إن عملية اختيار أعضاء الجمعية السرية كانت تتم على أساس معرفة العضو المرشح والثقة به من قِبل احد أعضاء الجمعية العاملين. أما قرار قبول هذا الشخص عضوا في الجمعية السرية، فكان يتم بعد أن يقابله الشيخ عز الدين القسام ويوافق عليه، وذلك لضمان أمن وسرية التنظيم، خاصة وهو في مراحله الأولى. وأخذنا نبحث عن الناس الذين نثق بهم، ممن نتوسل فيهم الخير، ونرى منهم الوطنية والحماس والاستعداد للمشاركة في الثورة المسلحة ضد الهجرة والاستعمار.

وحتى لو كان هناك شخص معروف بالنسبة لي، وجاء عن طريقي، لا بد أن يوافق الشيخ عليه. وبعد ذلك نعرض على ذلك الشخص ما نفكر به، وبضرورة أن ننظم أنفسنا سراً، وأن نتعاون استعداداً للثورة. وحين يبدي استعداده للعمل كان عليه أن يحلف اليمين بالإخلاص، وعدم كشف أسرار الجمعية، وطبعاً لم نكن (نحلِّف) الواحد اليمين إلا إذا كنا نثق بأنه لا يمكن أن يحلف يمينا كاذبة، ولذلك بعد أن يحلف اليمين فهو من جهة يخاف أن يخون الجمعية، بسبب حلف اليمين، ومن جهة ثانية يخاف من أعضاء الجمعية، لأنهم لن يسامحوه إذا خان".

هذا الحرص في اختبار الأعضاء، وفي التأكد من استقامتهم ووطنيتهم وجرأتهم كان

ضرورياً ، لأن "الأوضاع كانت خطرة، والإنكليز كانوا يشددون كثيراً، ويعدمون العربي على فشكه (رصاصة). لهذا كانت السرية ضرورية، وكانت هذه السرية تستمر بعد دخول العضو التنظيم. فحين بدأنا العمليات العسكرية، فإننا بسبب السرية والكتمان الشديد حافظنا على سلامة الجمعية، رغم إننا نفذنا عمليات عديدة، فالناس لا يعرفون من يقوم بهذه العمليات، وحتى أعضاء الجمعية نفسها لا يعرفون من الذي ضرب هذه القنبلة، أو هاجم تلك الكبانية (المعسكر أو المستعمرة الصهيونية) أو السيارة، فقط الذين يقومون بهذه العمليات، هم وحدهم الذين يعرفون أسرارها".

وكان أبو إبراهيم قد ذكر في حديث سابق مع ناجي علوش عام ١٩٦٩، بأن الخلية في البداية كانت تضم (٥) أشخاص ثم ارتفع إلى حوالي (٩). في الثلاثينات. وقد رافقت عملية التنظيم السري عملية تثقيف وتعبئة سياسية وجهادية، كان يتولاها الشيخ القسام في البيت الذي استؤجر خصيصا لاجتماعات الجمعية.

٣- السلاح والتدريب

وكانت الخطوة الثانية هي السلاح، وعن ذلك يقول أبو إبراهيم:

"وذات صباح وأنا نازل من بيتي، وإلى جانبي شخص من حوران، مررنا بمطحنة لليهود على طريق عكا - حيفا، وإذا بيهودي داخل المطحنة مستحكم ومبرز بندقيته من طاقة جدار المطحنة، وأطلق النار باتجاهنا، فقتل الحوراني على الفور. وكان اليهود يقومون باستفزازات كثيرة من هذا النوع.

في اليوم التالي، عندما عقد اجتماع الجمعية السرية، رويت الحادث الذي رأيته وقلت: إلى متى نبقى نحن بدون سلاح واليهود مسلحون ويستعملون سلاحهم فينا؟ يجب أن نتسلح وندافع عن أنفسنا، فقال الشيخ القسام أنا ما عندي مانع اجمعوا من بعضكم نقودا واشتروا السلاح.

وبدأ أعضاء الجمعية بالتبرع، وجمعوا ليلتها ثمن بندقيتين، وطلب مني ومن الحاج حسين حمام أن نبحث عن السلاح ونشتريه. وقد وصلنا في بحثنا إلى جيّوس نواحي قلقيلية، حيث اشترينا بندقيتين وعدنا بهما إلى حيفا. ومن يومها، وكان ذلك في عام ١٩٢٨، واصلنا شراء السلاح وتخزينه والتدريب عليه. وكان مدربنا أحد أعضاء الجمعية وأسمه محمد أبو العيون، وهو من البوليس العرب، وتعلم في مدرسة البوليس، وكان نشيطا وماهرا في استعمال السلاح.

وكنا نتدرب على استعمال البندقية واحداً واحدا. وكانت البنادق التي حصلنا عليها بنادق تركية مخفية في البلاد وبعض البنادق الانكليزية.

ومن أجل حفظ السلاح وتخزينه، اتصلنا بأقارب لنا في الكرمل حيث يعملون هناك، ولهم كروم، فطلبت منهم أن يعملوا طاقات في السناسل (أسوار مبنية من الحجر) لإخفاء البنادق فيها، ووضعنا كل بندقية أو بندقيتين في صناديق مجفتة (مبطنة) بزينكو لكي تحمي السلاح من الرطوبة والمطر.

بعد أن تدرب أعضاء الجمعية على استعمال السلاح، بدأوا يحملون السلاح ويتدربون على المشي ليلاً في الكرمل. ثم أخذنا نوزع السلاح على أعضاء الجمعية في القرى المجاورة، ممن لا يستطيعون شراء السلاح بأنفسهم. ومن الذين تم توزيع البنادق عليهم آنذاك:

الشيخ فرحان السعدي من قضاء جنين، توفيق الابراهيم (أبو إبراهيم الصغير) من أندور قضاء الناصرة، محمود كساب، الشيخ نايف الزامل، الحاج عبد الحميد أبو أمين من طيرة حيفا، والشيخ رشيد من الطيرة، ومن صفوريا الحاج صالح الناصر والشيخ مصطفى الأحمد ومحمد عبد الله وحسن وصالح عثمان والشيخ سعد، وموسى المصري من سوريا وكمال عبد القادر".

ولم تكتف الجمعية بشراء السلاح، بل عملت على تصنيعه بالوسائل الشعبية البدائية، ومن ذلك صناعة القنابل من المواسير،" وكان أحمد الغلاييني وهو من أعضاء الجمعية في حيفا، قد بدأ بصناعة هذه القنابل لأن عمله بالمواسير".

ولم يكن محمد أبو العيون هو المدرب الوحيد لأعضاء الجمعية، فقد كان الشيخ القسام، صاحب التجربة الثورية ضد الفرنسيين، يقوم بهذا الدور أيضاً.

ويذكر سليمان أبو حمام، وهو من رفاق القسام الأوائل:

"إن الشيخ كان يخرج ليلا إلى جبل الكرمل، ويدرب الأعضاء على الأسلحة، ويوجههم في أساليب الكفاح المسلح."

ويذكر حسن شبلاق، وهو قسامي ايضاً، إن أعضاء الجمعية كانوا يتدربون على يد القسام في محاجر الكرمل فيقول:

" كنا نجتمع قبل الخروج إلى الجبل في واحد من الجوامع الثلاث (في حيفا)، وكان الخروج عادة على مستوى الحظيرة، ثلاث أشخاص يعرفون بعضهم بعضاً، والحجة القانونية التي كنا نتسلح بها في خروجنا وجود المحاجر، فلي محجر هناك مثلاً... وكان القسام يخرج مع كل خلية، ويعلمها فك البندقية وتنظيفها وكيفية استخدامها."[٦]

غير أن شهادة أبو إبراهيم تختلف عن هؤلاء ، ربما بسبب شروط السرية، وربما بسبب فترة اعتقال أبو إبراهيم الذي يقول: " لما صارت الجمعية السرية لم يقم الشيخ بالتدريب... جبنا مدرب.. لم نرى الشيخ ولا مرة إنه قام هو ودرب الرجال. الذي درب ذكرناه واسمه محمد أبو العيون ". وعن خبرات الشيخ القسام العسكرية يقول: " ما أعرفه أنا، إن القسام ما عنده خطط عسكرية، لما اشتغل في الثورة في سوريا لم يكن عنده عسكرية لكنه شارك في الثورة شارك نعم".

كان التقليد المتبع في الجمعية أن يقوم كل عضو بتأمين السلاح بنفسه ومن ماله الخاص، وقد باع الكثيرون حلى زوجاتهم لشراء البنادق. غير أن غالبية أعضاء التنظيم القسامي كانوا من الكادحين المعدمين الذين لا يستطيعون تأمين ثمن السلاح، وبهذه الحالة كما يذكر أبو إبراهيم الكبير تقوم الجمعية بتوزيع السلاح عليهم، كما حدث بالنسبة لعدد من الأشخاص الذين ذكرناهم قبل قليل.

أما المصادر المالية للجمعية، وهي قليلة على كل حال، فكانت من الاشتراكات الشهرية للأعضاء وتبرعاتهم، وكذلك من تبرعات بعض الأثرياء الوطنيين من أصدقاء القسام ورفاقه.

٤- العمليات الفدائية الأولى

بعد شراء عدد من البنادق والتدرب عليها، جاءت الخطوة التالية الطبيعية وهي القيام بعمليات فدائية ضد المعسكرات والمستوطنين الصهاينة وضد جنود الاستعمار البريطاني الذي كان القسام يراه "رأس البلاء" أو "راس الأفعى، اما اليهود فليسوا سوى الذنب، فإذا ضُرِب الرأس مات الذنب".

دفعت أحداث البراق في آب ١٩٢٨ الشيخ القسام ورفاقه في العصبة إلى الانتقال من مرحلة الدعوة للجهاد إلى مرحلة التنفيذ العملي له.

ويصف أبو إبراهيم الكبير هذا الانتقال بقوله: "كان اليهود يبنون بناياتهم على شكل عسكري وكثيراً ما حدثت صدامات بين العرب واليهود وبينما كان اليهود حاقدين ومحتاطين لأنفسهم، كان العرب غير محتاطين. ولقد استغل اليهود هذه الميزات كلها، وكثيراً ما كنا نرى العرب يسقطون قتلى وجرحى. كانت تبدأ الجلسة بأن يلقي الشيخ دروسه ثمّ تحولت دروس الشيخ من دروس دينية إلى تحريض على الجهاد. وكان المدرب يقوم في

آخر الجلسة بتدريب الموجودين على البندقية واحداً واحداً".

ويضيف أبو إبراهيم: " بعد أن صار في الجمعية من يحمل السلاح وصار لها أعضاء مسلحون في القرى، بدأنا نطلب منهم القيام بعمليات عسكرية، ومهاجمة المستعمرات اليهودية للرد والانتقام من اليهود الذين تسببوا بقتل وجرح الكثيرين من العرب. وقد نفذنا حوالي ٢٥ عملية هجوم على مستعمرات وأهداف وسيارات يهودية وانكليزية، دون أن يتمكن البوليس أو سلطات الاحتلال من اكتشاف الذين يقومون بهذه العمليات، حتى أن وزارة المستعمرات وجهت توبيخاً للبوليس في حيفا فأقالوا مسئول البوليس عبود، وعينوا بدلاً عنه حليم بسطة، وهو مصري، كانت قوات الاحتلال البريطاني قد أحضرته معها إلى قطاع غزة".

كانت القيادة القسامية حريصة على تنفيذ العمليات العسكرية في أماكن بعيدة نسبيا عن حيفا، حيث مركز الحركة، وذلك لتضليل سلطات الاحتلال عن الجهة التي تقوم بهذه العمليات، خاصة أن الشيخ عز الدين القسام نفسه، وبسبب دوره ونشاطه العلني في التحريض ضد الانكليز واليهود، كان موضع شبهات قوية من قبل سلطات الاحتلال التي قامت باستجوابه أكثر من مرة.

لهذا نجد أن معظم العمليات الفدائية الأولى قد تمت في منطقة الحولة والحمّة والناصرة ومنطقة مرج ابن عامر، ومن هذه العمليات يذكر أبو إبراهيم الكبير:

قطار الحمة

" في خط سكة حديد بروح من حيفا على الشام عن طريق مرج ابن عامر، عن طريق وادي خالد والحمامات، اعتاد اليهود يوم السبت السفر بالقطار إلى حمامات الحمة، فقام الشيخ نايف المزويق وموسى التمام الناصري بفك قضبان سكة الحديد، فخرج القطار، وهو راجع عن الخط وانقلب مما أدى إلى قتل وجرح معظم اليهود فيه.

٧ يهود في سيارة يافا

ربط (كمن) مسلحان من أعضاء الجمعية على طريق قرب يازور (قرية تبعد ٥ كلم جنوب يافا) لسيارة خضار يهودية قادمة من إحدى المستعمرات إلى حيفا، وأطلقوا النار على من فيها، مما أدى إلى مقتل اليهود السبعة الموجودين في السيارة.

إلى جانب عمليات اخرى متفرقة كالهجوم على الكبانيات (المستعمرات) ونسف بيوت فيها، وتدمير ما فيها. وقتل شاويش انكليزي على شط بحر حيفا. إطلاق النار على باص يهودي قادم من مرج ابن عامر، قرب وادي خالد.

الهجوم على مستعمرة نهلال

الهجوم على مستعمرة نهلال الصهيونية في مرج ابن عامر، (في نيسان ١٩٣١) وقتل وجرح عدد من اليهود فيها. وقد قام بهذا الهجوم ثلاثة من أعضاء الجمعية في صفورية، وهم مصطفى الأحمد والحاج صالح وأخوه إبراهيم".

وبسبب هذه العملية الأخيرة جرى اعتقال ومحاكمة أبو إبراهيم الكبير لمدة تسعة أشهر في سجن حيفا، كما سنرى.

٥- الاطار التنظيمي

مع اتساع التنظيم القسامي المسلح وامتداده في المناطق المجاورة ، ومع قيامه بمهمات عسكرية وأمنية وسياسية متعددة، كان لا بد أن تتبلور صيغ وإطارات تنظيمية خاصة به من ناحية، ومستمدة من تجربة القسام الثورية وثقافته الواسعة من ناحية ثانية.[٧]

في بداية تشكيل التنظيم القسامي كان لهذا التنظيم قيادة خماسية، كان قد سبق لأبي إبراهيم أن حددها على النحو التالي:

١. الشيخ عز الدين القسام.

٢. العبد قاسم (فلاح بائع كاز).

٣. محمود زعروره (فلاح بائع كاز).

٤. محمد صالح (أبو خالد) (فلاح حمال وبائع كاز).

٥. خليل محمد عيسى (أبو إبراهيم الكبير) (فلاح صاحب دكان لبيع الصوف وأكياس الخيش).

أما الإطار التنظيمي فقد جرى تقسيمه وفق المهمات المتعددة الموكلة له.

هذا الإطار التنظيمي القيادي يتولى الإشراف على التنظيم القسامي الهرمي، والذي قسم بدوره إلى مناطق قاعدية متعددة، وفق تواجد أعضاء التنظيم. وكان رئيس كل حلقة يدعي نقيباً أو عريفاً، وفق التقسيمات التنظيمية الصوفية كما يقول المستشرق الأميركي عبد الله فيشر.

لقد جاء هذا البناء التنظيمي متوافقاً مع مخطط القيادة القسامية لإشعال الثورة ضد الانكليز والصهاينة في لحظة واحدة وفي مختلف المناطق. ولهذا فإن القسام قبل خروجه من حيفا للتحضير للثورة ترك مخططاً عسكريا متكاملاً، وحول هذا الموضوع يذكر الشيخ محمد الحنفي، وهو من رفاق القسام الأوائل والمكلف بالاتصال بالحلقات القسامية، "إن الشيخ القسام قد ترك ثلاث عشرة لفافة ورقية مشمعة، خاصة بثلاث عشرة مدينة ومنطقة في فلسطين، وكانت هذه اللفافات محفوظة في أشرفية بيسان، ضمن عبوة تنكية مدفونة في أرض المزرعة. وكان يوجد في كل لفافة ما بين عشر إلى اثنتي عشر ورقة ملفوفة، تحتوي على أسماء المجاهدين القساميين والتعليمات الضرورية لهم كل في منطقته، ومن هذه المناطق: الخليل، غزة، الناصرة، طبريا، عكا، طولكرم، جنين. وتعرف اللفافة من خارجها والمعنونة باسم قائد المنطقة الحركي، وبعض المناطق كانت توجد فيها أسلحة محفوظة

ضمن الكاوتشوك للتدريب عليها والقتال عند اللزوم".

في إطار هذا المخطط التنظيمي السري كان الإعداد لتفجير الثورة المسلحة في فلسطين، أما العمليات المتفرقة التي كان يقوم بها القساميون قبل ذلك فإنها تشكل نوعاً من الرد الانتقامي على جرائم اليهود وتواطؤ الانكليز، وربما عمليات تدريبية أولية قبل خوض غمار الثورة الشاملة.

غير أن الاستشهاد المبكر للقسام قد حال دون تنفيذ المخطط الموضوع، ولكن عملية الاستشهاد البطولية نفسها قد أسهمت في إشعال الثورة في كل أنحاء فلسطين، وكان رفاق القسام وأعضاء تنظيمه هم القادة الحقيقيون لهذه الثورة والتي تواصلت حتى العام١٩٣٩، ثم لتنفجر لاحقاً أواخر الأربعينيات.

الفصل الثالث

اعتقال ومحاكمة

في أعقاب الهجوم الثاني على مستعمرة نهلال في ٢٢/ ١٢/ ١٩٣٢، واعتقال وتوقيف أبو إبراهيم الكبير لمدة تسعة أشهر، كان من الطبيعي أن تغيب كثير من التفاصيل الهامة عن أبو إبراهيم، ذلك أن السرية والكتمان الشديدين الذي سبق لأبي إبراهيم أن تحدث عنهما بنفسه، كانت تحول دون اطلاع حتى العناصر القيادية على كل الأسرار المتعلقة بالتنظيم، والتي لا تدعو حاجة العمل للاطلاع عليها.

ولا شك كذلك انه حتى بعد خروج أبو إبراهيم من السجن كان موضوعاً تحت المراقبة المشددة من رجال الضابط حليم البسطة مساعد مدير الأمن العام الانجليزي في حيفا ، مما جعل اتصالاته بالشيخ القسام محدودة، وخاصة أن حليم البسطة كان يبدو واثقاً من وجود علاقة تنظيمية بين أبو إبراهيم وبين منفذي العمليات الفدائية، ومن بينهم منفذي عملية نهلال، كما سيتبين لنا من خلال مجريات المحاكمة.

يقول أبو إبراهيم واصفاً اعتقاله: "لقد اتهمونا نحن بالقنبلة، رغم أننا لم نكن قد قمنا بها (أي بوضعها)، القي القبض على مصطفى الأحمد وسجن في الناصرة. كان هناك محامي اسمه شريف عبيد، فاتفق مع حليم بسطه، مساعد مدير الأمن العام الانجليزي، على كشف القضية، ولقد سلطوا المحامي عبيد على مصطفى وطلبوا منه أن يعترف، كما طلبوا منه أن يقول بأنني أنا وأحمد الغلاييني قد اشتركنا معه في هذه العملية ولما بحثوا عن نوع المواسير التي صنعت منها القنبلة، وجدوها عند تاجر يهودي فسألوه عمن اشترى منه هذه المواسير، فتذكر أن أخا لأحمد الغلاييني هو الذي اشتراها، ولما

جاءوا إلى دكان الغلاييني وجدوني عنده بالصدفة فألقي القبض علينا.

حاولت السلطات أن تأخذ أمر توقيف لنا من حكام الصلح العرب فرفضوا إعطاء أمر بتوقيفنا، فأخذتنا السلطات البريطانية عند حاكم صلح آخر، فأعطى أمراً بتوقيفنا لمدة خمسة عشر يوماً.

(لاحقا تفاصيل الشهادة الكاملة عن هذه المحاكمة كما يرويها أبو إبراهيم الكبير)

***

بقي الثلاثة رهن التحقيق الذي كان يشرف عليه الضابط أحمد نايف والضابط كلايتمان، واستطاع الاثنان كشف النقاب عن منفذي العملية، وكذلك أسماء الأعضاء النشيطين في العصبة.[٨]

الرواية الكاملة للمحاكمة في مذكرات أبو إبراهيم الكبير

أما تفاصيل القصة الكاملة للاعتقال والمحاكمة كما يرويها أبو إبراهيم فهي على النحو التالي:

" قام ثلاثة أعضاء من الجمعية في صفورية باستلام قنابل كان قد صنعها أحمد الغلاييني، ونسفوا بواسطتها بيتاً للحرس في مستعمرة نهلال، فقتل اثنان وجرح اثنان آخران، وهؤلاء الثلاثة هم مصطفى الأحمد والحاج صالح وأخوه إبراهيم، وبعد تنفيذ العملية قام القساميون بتسيير قطيع من الغنم على الطريق إلى المستعمرة فضاع الأثر، كما قام الثلاثة بعبور مجرى ماء لإخفاء أي أثر يدل عليهم.

السلطات البريطانية التي كانت قلقة من تزايد العمليات الفدائية، وجهت توبيخاً لقائد البوليس في حيفا، واستبدلته بحليم بسطة، وشددت على ضرورة كشف الفاعلين. وبالفعل

تحرك قصاصو الأثر، ولكن دون جدوى، غير أنهم اكتشفوا أن الآثار تختفي بالقرب من قرية صفورية.

بعد ستة أشهر من الحادث، وأثناء تفتيش البوليس لبعض بيوت المشتبه بهم في صفورية، عثر في بيت مصطفى الأحمد على بندقية وقنبلة من النوع الذي استخدم في مستعمرة نهلال، ولا زالت السلطات البريطانية تحتفظ بشظاياها. فاعتقلوا مصطفى الأحمد وأخضعوه للتحقيق والتعذيب الشديد، في سجن الناصرة.

في هذه الأثناء اخذ البوليس يبحث عن نوع المواسير التي صنعت منها القنابل، فوجدها عند تاجر يهودي في حيفا، فذكر بأن شقيق أحمد غلاييني الصغير، وكان يمتلك محلا لتركيب المواسير، هو الذي اشتراها، فهاجموا المحل وفتشوه، وكنت بالصدفة عند أحمد الغلاييني، فوجدوا مواسيرا من نفس النوع، ولكنهم لم يجدوا قنابل، واعتقلوا أحمد الغلاييني واعتقلت معاه ووضعونا رهن التحقيق.

في الناصرة كان يوجد محامي اسمه شريف عبيد، اتفق مع حليم يسطة ومساعده الضابط أحمد النايف على أن يتقدم بنفسه للدفاع عن مصطفى الأحمد، وإقناعه بأن يشهد بأن اللذين كانا معه هما خليل العيسى وأحمد الغلاييني، ووعدوه إذا شهد بذلك أن يسعوا لبراءته.

وبالفعل استطاع المحامي أن يؤثر على مصطفى الأحمد فشهد علينا. وجاء البوليس وأوقفني رهن التحقيق، غير أنهم لم يستطيعوا الإثبات بأنني كنت في الحادث، إنما ثبت أن الغلاييني هو الذي صنع القنبلة من المواسير.

ذهب من يبحث لنا عن محام، فقابل احد أعضاء الحركة الوطنية الذين يحترفون المحاماة، فقال لنا هذا الرجل أن القضية ستكلفهم كثيراً. فذهبنا إلى المحامي حنا عصفور فكلفناه، وعندما فعلنا ذاك طلب حليم بسطه منه (أي المحامي) أن ينتزع منا اعترافاً، فجاء المحامي

وقال لنا: " أنا محاميكم وأريد أن تخبروني عما حدث معكم." قلنا له:" نحن أبرياء دافع عنا بكل قوتك."

ويبدو أن المحامي قد اقتنع فعلا ببراءتنا، فطالب بالإفراج عنّا لعدم كفاية الأدلة، إلا أن السلطات البريطانية كانت حريصة على استصدار أمر توقيف جديد بحقنا. ولكن حكام الصلح العرب رفضوا إعطاء الأمر فأخذتنا السلطات عند حاكم صلح آخر فأعطى أمرا بتوقيفنا لمدة ١٥ يوماً. وهكذا توالت أحكام التوقيف إلى أن استمر سجننا تسعة أشهر، كان حليم بسطة ورجاله خلالها يسعون لإحضار شهود زور لإدانتنا، فأحضروا شاهداً اسمه أحمد فرنسيس وقدم الشهادة التالية أمام المحكمة:

"في يوم الحادث كان الثلاثة مصطفى الأحمد وخليل عيسى وأحمد الغلاييني في جامع القرية (صفورية)، وبعد صلاة المغرب غادر الثلاثة الجامع، واتجهوا إلى بيت مصطفى الأحمد، بينما بقيت واقفاً أمام الجامع، وبعد مضي وقت قليل خرج الثلاثة لابسين عبي فوق البنادق، واتجهوا إلى الجنوب نحو مستعمرة نهلال".

ويكمل الشاهد أحمد فرنسيس شهادته فيقول بأنه كان يبيع الدخان للعرب القريبين من المستعمرة، فأخذ دخاناً وذهب لبيعه، وهناك سمع طلقات نارية في المستعمرة، وبعد أن باع الدخان عاد إلى بلدته صفورية، وفي الطريق جلس ليستريح تحت شجرة ويدخن سيجارة، وفي هذه الأثناء مر خليل عيسى والغلاييني ومصطفى راجعين نحو صفورية، وهم يتحدثون بينهم:" نسفنا البيت وأطلقنا النار على كل ما رأيناه في المستعمرة".

ويقول أبو إبراهيم:" بعد أن أنهى الشاهد شهادته سألت المحكمة المتهمين:" هل لكم سؤال؟"،

فقلت: "نعم! " وتوجهت بالسؤال إلى الشاهد:" هل أنت في اليوم الفلاني والتاريخ الفلاني

صليت في جامع بلدتكم، ونحن صلينا معك في ذلك اليوم؟"

قال:" نعم أنا صليت في الجامع ، وانتم صليتم معي، وقد لحقت بكم بعد خروجكم من الجامع."

سألته:" هل في جامعكم الذي صلينا فيه معك حواجز تحجز المصلين عن بعض أم إن كل الجامع ساحة واحدة؟"

أجاب: " كل الجامع ساحة واحدة."

سألته: " هل أهل بلدكم يعرفون بعضهم أم إن البلد كبيرة ولا يعرف الناس فيها بعض؟"

قال:" كل الناس تعرف بعضها."

سألته: " هل تعرف أحداً من الذين صلوا ذلك اليوم صلاة المغرب؟"

قال: "نعم".

سألته:" هل تستطيع أن تسمي أحداً منهم؟"

فأورد الشاهد أسماء ستة أشخاص.

عند ذلك توجهت إلى المحكمة بالقول:

"إذا كان واحداً من هؤلاء الستة الذين سماهم الشاهد يشهد بأنه قد رآنا في الجامع في صلاة المغرب من ذلك اليوم، فإن شهادته مقبولة علينا. فطلبت المحكمة من البوليس إحضار الشهود الستة في اليوم التالي إلى المحكمة، وبالفعل حضر الشهود، وكلهم شهدوا بأنهم لم يروا أحداً منا، وإن أحمد فرنسيس لا يصلي ولا يدخل الجامع، وإنه ابن فرنسي ولذلك اسمه فرنسيس. وبعد أن انكشف شاهد الزور الأول، جاء دور شاهد الزور الثاني الذي رتبه حليم بسطة، واسم هذا الشاهد طه النوباني، فقال أمام المحكمة:

" وأنا طالع لجامع الاستقلال في حيفا، رآني خليل العيسى، وأشار لي أن أتحدث معه وقال

لي: أنت أعجبتني لأنك تصلي كثيرا مثلنا، ويجب أن تدخل معنا في الجمعية.

فسألته ما هي هذه الجمعية، فقال:" هذه الجمعية مهمتها أن تقتل الانكليز واليهود، وأنت حصنتك ذلك البيت، وصاحبه زعيم يهودي، وعليك أن تقتله". وفي اليوم الثاني استدعاني خليل عيسى، وقال لي: "أريد منك أن تأتي إلى بيتي لأعرفك على إخوانك هناك"، ثم أخذني إلى بيته فوجدته مليء بالأشخاص وكلهم يشتغلون بالسلاح، وبعضهم يصنع قنابل وبعضهم يمسح سلاح".

وقد استمرت شهادة طه اللوباني يومين وضعونا بعدها في النظارة (مركز التوقيف) لإرسالنا إلى سجن عكا، وهناك في النظارة جاءنا المحامي حنا عصفور، وقال لي ولأحمد غلاييني:" لقد قلت لكم أنا محامي أمين، فقولوا لي الحقيقة. قلتم بأنكم أبرياء، فهل هذه شهادة على أبرياء". فضحكت، سألني المحامي: " لماذا تضحك؟"

قلت له:" لأنني بريء."

سألني: "كيف تثبت براءتك؟"

أجبت :" لأن الشاهد شاهد زور، ولا يعرف بيتي ولم يزره في أي يوم."

في اليوم التالي جاء الشاهد النوباني لاستكمال شهادته أمام المحكمة. فقال رداً على سؤال عن نوع القنابل التي رآها تصنع في بيت أبو إبراهيم، بأنها مصنوعة من علب البندورة، وطبعاً القنبلة التي وجدوها مصنوعة من المواسير.

وهنا تقدم المحامي حنا عصفور وسأله:" هل ذهبت إلى بيت خليل العيسى؟"

أجاب :" نعم ذهبت."

سأله المحامي:" وأين بيته؟"

أجاب:" في الكرمل".

فسأله المحامي:" هل تستطيع إخبارنا عما يوجد داخل البيت؟ مثلاً الشبابيك أين تفتح وكم عددها؟ ومن أين يفتح الباب.... يعني صف لنا البيت من الداخل."

أجاب الشاهد: "أنا ذهبت مرة في الليل، وكانت الدنيا عتمة، ثم أنا لست مهندساً، وما معي متر أقيس فيه."

فسأله: "هل حلّفك خليل العيسى اليمين لما دخلّك الجمعية؟"

أجاب: "نعم".

سأله: " هل اليمين الذي حلفك إياه يشبه اليمين الذي أقسمته أمام المحكمة؟"

أجاب: " طبق الأصل."

فقال المحامي حنا عصفور للمحكمة: " إن اليمين الذي أقسمه الشاهد أمامكم كاذب، وهذا واضح لكم."

هنا قفز النائب العام وهو أكبر محامي انكليزي كان في فلسطين، وشريكاً للمندوب السامي في الحكم، وقال موجهاً كلامه إلي: "هذا الكهل دبر حاله، قبل أن يأتي ويقف أمامكم حتى لا يكون عليه ولا مستمسك."

فقام المحامي حنا عصفور وقال للمحكمة: "إذا كان لا يوجد أي مستمسك على موكلي، ولا توجد مادة في القانون تحاكمونه بموجبها، كما يقول النائب العام، فذلك لأن موكلي بريء، وأطالب بإطلاق سبيله على الفور".[٩]

وبعد أن اختلى قضاة المحكمة بعض الوقت، عادوا وأعلنوا براءة خليل عيسى، فعاد المتهم مصطفى الأحمد وتراجع عن شهادته الأولى، واعلم المحكمة بأن خليل عيسى وأحمد الغلاييني لم يكونا معه، وإن رجال البوليس والمحامي هم الذين طلبوا منه أن يدلي بتلك الشهادة.

وقد أصدرت المحكمة حكماً بإعدام مصطفى الأحمد وكذلك بإعدام الغلاييني لأنه صنع القنبلة، ثم خفف الحكم عنه إلى ١٥ سنة بعد ذلك، وخرج من السجن عام ١٩٤٤. وقد قال لي الغلاييني بعد أن أصدر القاضي عليه حكماً بالإعدام: "أنا لست خائفاً ما دمت قد خرجت براءة، فأنا مطمئن بأنك ستستد (ستنتقم) لنا من هؤلاء جميعاً."

حين أصدرت محكمة الجنايات حكمها ببراءتي كان حليم بسطة موجوداً في المحكمة، فقام وقال: "توجد على المتهم تهمة ثانية".

فقالت المحكمة: إذا كنت ستثبت عليه ذلك، خذه."

فطلب بسطة من ضابط اسمه إبراهيم البيطار أن يأخذني للتوقيف في محكمة الصلح، وطلب من قاضي الصلح توقيفي بناء على طلب مسئوله حليم بسطة حتى إحضار الشهود.

سألت القاضي: " هل الشهود الذين سيحضرهم قدم أم جدد؟"

فوجه القاضي سؤاله للبيطار الذي قال: لماذا هذا السؤال؟

فقلت: " أنا كنت في محكمة الجنايات لمدة ١٧ يوماً، وهناك شهدوا علي زور، وثبت إنها شهادات زور، فخرجت براءة، ولو كان هناك شاهد واحد صحيح لما خرجت، وأنا قادم إليك مباشرة من محكمة الجنايات دون أن اقترف ذنباً أو أكلم أحداً، فمن هو الشاهد الذي سيحضر؟"

رفع الضابط إبراهيم البيطار يديه وقال: " أنا لا أعلم شيئاً عن القضية، طلب آمري (رئيسي) أن أستحضر أمراً بتوقيفه وجئت أطلبه".

قال القاضي: " يقولون بأن لديهم شهوداً، وأنا سأصدر أمراً بتوقيفك حتى أسمع الشهود".

وصدر الأمر بتوقيفي لمدة ١٥ يوماً، وكلما انتهت يقومون بتجديدها حتى صارت المدة حوالي السنة، وكانوا يحضرون شهوداً لتوقيفي.

في آخر ثلاثة شهور أحضروا مرة ثانية أحد الشهود الزور الذين شهدوا في محكمة الجنايات.

قلت لقاضي الصلح: " هذا الشاهد من شهود الزور في محكمة الجنايات".

فقال القاضي: " براءة".

وكانوا قبل ذلك قد احضروا شاهداً آخر من صفورية وكان المحامي أحمد الشقيري موجوداً. فقال الشاهد بأنه رآني مع الغلاييني ومصطفى حاملين العبي ومتجهين للجنوب. هذا الشاهد لم يكن يعرفني ولا أعرفه، فقمت ووضعت يدي على كتفه وسألته: " هل تعرف خليل العيسى؟"

أجاب : " نعم أعرفه."

قلت له: "طلعه من بين الموجودين."

فصار الشاهد ينظر إلى كل واحد من الموجودين بالدور. وكان حليم بسطة موجوداً في المحكمة فأخذ يؤشر عليّ بأصبعه، فقلت للحاكم:

" يا سعادة الحاكم، انظر إلى حليم البسطة ماذا يفعل، يؤشر له بإصبعه."

قال القاضي: "خذوا الشاهد! لا أريد أن أراه، شهادته مرفوضة."

وقد حكموه بعدها على شهادة الزور".

غير أن حكم المحكمة بمعاقبة شهود الزور لم يكن كافياً فلم يلبث معظم أولئك الشهود ومحرضيهم، وفي مقدمتهم حليم بسطة، أن واجهوا عقاب الثورة.

كان حليم بسطة قد قال بعد وصوله إلى حيفا، بأنه سيدوس على رأس أكبر فلسطيني. وكانت النتيجة ان محمد صالح (أبو خالد) حين نفذ بالبسطة حكم الإعدام، قد وضع قدمه على رأس البسطة وأفرغ مسدسه في جسده وكأنه يقول له: "الآن تعرف من يضع قدمه على رأس الآخر".

وسنعود إلى هذا الحادث في الفصول التالية من هذه المذكرات.

ولعل من الطريف أن نذكر هنا كيف أن الضابط إبراهيم البيطار قد أصبح بعد ذلك مديرا لشرطة جنين، وكان أبو إبراهيم آنذاك القائد العام للثورة في تلك المنطقة، وحين تقرر خروج القادة القساميين وفق اتفاق المفتي الحسيني خشي أبو إبراهيم من أن تخبر الشرطة الانجليز بتحركات القساميين فيقعون في التطويق.. فأرسل لإبراهيم البيطار شخصا لينذره "إذا جاء جيش الانجليز وطوق المنطقة، إبراهيم البيطار مسئول، فقال البيطار لمن أوصل له الخبر: أنا مسئول، وطلب منه أن يقول لأبي إبراهيم: أنا من الأول كنت معهم من يوم المحاكمة، وإبراهيم البيطار من الأول كان يريد رضاكم ويريد يكون في جهتكم وأنا معكم".

الفصل الرابع

أولا: الخروج من حيفا إلى الثورة

جاء قرار القيادة القسامية بالخروج من حيفا إلى الأرياف للتمهيد لإعلان الثورة المسلحة بعد سلسلة من الأحداث والتطورات الحاسمة،[١٠] ومع ازدياد الوعي الوطني العام لمجابهة أخطار المشروع القومي اليهودي.

وقد سبق عملية الخروج من حيفا سلسلة من التحضيرات الميدانية والسياسية لتوفير الشروط الملائمة لنجاح الثورة، كان من بينها الاتصال بالمفتي الحاج أمين الحسيني؛ وعن ذلك يقول أبو إبراهيم الكبير:

"أرسل الشيخ عز الدين القسام محمود سالم إلى المجلس الإسلامي الأعلى في القدس لتبليغ المفتي بقرار إعلان الثورة ورغبته بمشاركة الحاج أمين فيها، لكن المفتي لم يوافق على الطلب وقال: إن الوقت لم يحن بعد."

أبو إبراهيم لم يكن حاضراً عند اتخاذ قرار الاتصال بالمفتي، لكنه علم به فيما بعد. ويروي عربي البدوي (وهو قسامي قيادي من قبلان) ما يلي حول اتصال القسام بالمفتي:

"ولاستكمال لوازم الثورة وشراء الأسلحة، أرسل الشيخ القسام رسالة إلى الحاج أمين الحسيني بواسطة محمود سالم المخزومي قال له فيها: "الأمور لا تطاق، واليهود يتسلحون، وقد أصبح الجهاد فرضا وإعلانه فرض، وأنا سأقوم بإعلان الجهاد. وأنت عليك كرئيس للمجلس الإسلامي الأعلى وحسب إمكانياتك وميزانية الأوقاف أن تمدنا بثمن الأسلحة".

ويقول البدوي "إن الحاج أمين أرسل مبلغاً من المال للقسام، دون أن يبادر إلى إعلان الثورة في منطقة الوسط حيث كان نفوذه القوي" [١١]

لم يقتصر الاتصال على المفتي وحده بل جرت اتصالات أخرى للغاية نفسها مع بعض الأحزاب السياسية الوطنية، ومن بينها الحزب العربي الفلسطيني وحزب الاستقلال.

إن القيام بثورة شعبية ضد بريطانيا العظمى والهجرة اليهودية المسلحة كان يحتاج كذلك إلى قراءة دقيقة لخريطة الصراعات الدولية ومحاولة الاستفادة منها، ومن هنا سيكون من المنطقي أن تسعى القيادة القسامية للاتصال ببعض الدول الأجنبية لهذه الغاية. ويذكر صبحي ياسين في هذا السياق أن محمود سالم قد اتصل في القدس بقنصل ايطاليا وقنصل تركيا بهدف شراء الأسلحة. وتذكر ابنة الشيخ القسام: " كنت اعرف أن هناك أسلحة فردية كانت تتدفق على حركة القسام عبر الأراضي التركية."

وهذا إلى جانب التحضيرات الميدانية لتفجير الثورة المسلحة التي سبق الحديث عنها، غير أن الصدفة المحضة التي كشفت وجود القيادة القسامية في مغارة نورس واضطرار القسام لخوض معركة مبكرة لم تدع الأمور تسير وفق مخططها المرسوم، غير أن المعركة الاستشهادية التي خاضها القسام ورفاقه في أحراش يعبد لم تلبث أن فجرت الثورة في كل فلسطين.

ومن الجدير بالذكر أن سلطات الانتداب البريطاني كانت عشية مغادرة القيادة القسامية لحيفا قد أعلنت حال الاستنفار العسكري في فلسطين بعد الاحتلال الايطالي للحبشة، خشية انتقال الأحداث إلى فلسطين.

وجد الشيخ عز الدين القسام في حادثة تهريب واكتشاف الباخرة الصهيونية الضخمة المحملة بالأسلحة في ميناء حيفا، وما أعقبها من غضب جماهيري عام، الفرصة الملائمة لإعلان الثورة ضد الانجليز، وحين طرح الشيخ موضوع إعلان الثورة على أصدقائه المقربين أمثال رشيد الحاج إبراهيم،[١٢] كان رد معظم من اتصل بهم أنه من المفضل انتظار رد المندوب

السامي على مطالب الأحزاب العربية بالنسبة لاكتشاف الأسلحة في يافا، إلاّ أن الشيخ رأى ضرورة عدم فقدان هذه الفرصة وانه يجب القيام فوراً بما من شأنه زعزعة الانجليز واليهود سوية. وقرر العمل لوحده. ويذكر عجاج نويهض بأن القسام كتب، قبل مغادرته حيفا، لرشيد الحاج إبراهيم يقول: "إنني واثق من نفسي وان صوتي سيجد صداه في كل مكان عند أول صيحة، ونستودعك الله راجين من المولى أن يوفقنا في أعمالنا في سبيل الوطن".[١٣]

وابتدأ القسام بأهل بيته وزوجته، "فكان يقول لزوجته كلاماً يهيئها به لتلقي الصدمة إذا بلغها خبر مصرعه. واستقرض منها كل ما كان معها من مال ومصاغ وحلى واشترى به سلاحاً". ثمّ بدأ بجمع أتباعه من المجاهدين، والتحدث معهم بشأن قرار إعلان الثورة، ويبدو انه قد بات واضحا بالنسبة للقسام بأن خطر اعتقاله هو وإخوانه قد بات وشيكا بعد ان كثّف الانجليز مراقبة تحركاته.[١٤]

يقول عربي البدوي: "قبل الخروج كنا لمدة أسبوع نتباحث، ونجتمع في بيوت متفرقة، وأخيراً قررنا الخروج". وأرسل القسام حسن الباير إلى "أبو إبراهيم الكبير" ليستشيره في الأمر.

يروي أبو إبراهيم ما حدث قبيل خروج القسام للثورة وعن اتصاله به فيقول:

"كان الشيخ القسام قد أعد جماعة غيرنا (يقصد الذين سجنوا بعد نهلال)، واتفق معهم على الخروج إلى الثورة، وكنت ذات يوم في البيت عندما جاءني قبل الغياب حسن الباير، وهو من الذين هيأهم الشيخ بعد سجننا.

قال لي حسن الباير: أرسلني لك الشيخ في خبر،

قلت ما هو؟

قال: إن الشيخ يريد رأيك في الخروج،

قلت: عندما يقرر الشيخ شيئاً فعلينا التنفيذ.

قال: ولكنه يريد رأيك.

فلم أعطه رأيي" ، وعلل أبو إبراهيم ذلك بقوله: "لاننا كنا تلاميذه"، ثمّ اضاف: "ولقد عاد البابر واخبر الشيخ بما حصل، فقال الشيخ: نصلي غداً في جامع الحاج عبد الله ، ونرى أبا إبراهيم، وفي الفجر التقينا في الجامع وصلينا الفجر، واجتمعنا في غرفة هناك.

قال الشيخ: نريد الخروج فما رأيك ؟

قلت: ليس لي رأي.

ولكن الشيخ أصر علي، عندها سألته: كم لديك من الرجال؟

قال: يعني حوالي ١٥.

قلت: ومن السلاح؟

قال: حوالي ١٥ بندقية، لكل رجل بندقية.

قلت: والذخيرة؟

قال: لكل بارودة (بندقية) صف فشك (رصاص).

قلت: هل تريد أن تعمل ثورة ببارودة وصف فشك؟ إننا بما في أيدينا لا نستطيع الوقوف في وجه الانجليز، نحن خارجون لإعلان ثورة، وهذا يحتاج إلى السلاح والمال، والثورة تحتاج إلى ذخائر كل يوم، والى مصروفات كل يوم، فماذا لدينا من كل ذلك؟

فأجاب: نحن لسنا خارجين لكي نبدأ الثورة والاشتباكات فوراً، ولكننا نخرج لأننا تحدثنا طويلاً، ولا بد أن يرى الناس إننا نطبق ما قلناه، ونبدأ الثورة على هذا الأساس.

قلت: ولكن يا شيخ الجواسيس لن يتركونا. علينا الاستمرار في عملنا كما الآن؟ أي الاستمرار بالغارات ليلاً والعمل نهاراً.

قال: سنكون حذرين، سنخرج نحن والجماعة، أما انتم فعليكم أن تبقوا حيث انتم (في حيفا) لكي تساعدوننا". وأنت والإخوان سنرسل لكم كي تلحقوا بنا، لأنكم الآن خارجون من السجن، وهناك تهم موجهة ضدكم، فإذا رآكم الانكليز سيلاحقونكم، ولهذا فعليكم البقاء لفترة حتى نرسل لكم".

وبعد هذه الاستعدادات، استقال القسام من رئاسة جمعية الشبان المسلمين بحيفا.

ثمّ وقف للمرة الأخيرة خطيباً في جامع الاستقلال، وقد حفظت لنا ذاكرة يوسف الشايب الذي استمع إلى الخطاب آخر كلمات القسام "أيها الناس: لقد علمتكم أمور دينكم، حتى صار كل واحد منكم عالماً بها، وعلمتكم أمور وطنكم حتى وجب عليكم الجهاد، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد. فإلى الجهاد أيها المسلمون، إلى الجهاد أيها المسلمون".

ويؤكد الشايب خروج القسام واختفائه بعد هذه الخطبة، ويضيف أن سيارة كانت تنتظره خارج المسجد ولم يشاهد مرة أخرى بحيفا بعد ركوبه فيها. وبعد ساعة من إلقاء الخطبة أخذت السلطة تفتش عن الشيخ القسام للقبض عليه ومحاكمته، ولكنه كان قد ودع أهله وعشيرته، وحمل بندقيته وذهب وصحبه إلى الجبال ليجاهدوا وليستشهدوا". [١٥]

***

ثانيا: الطريق الى يعبد:

غادر حيفا مع الشيخ عز الدين القسام مجموعة من المجاهدين، لم تتفق المصادر التاريخية على تحديد توقيت خروجهم أو عددهم أو أسمائهم.[١٦]

يروي أبو إبراهيم الكبير ملابسات وتفاصيل معركة أحراش يعبد فيقول:

"اتفق الشيخ القسام مع الشيخ فرحان السعدي أن يتخذوا من بلدة "نورس" نقطة انطلاق لهم للتجول في القرى المحيطة والتحريض على الثورة، وفي مغارة هناك قرب المزار صاروا يبيتون ليلاً وينتشرون للتحريض نهاراً "، وهم يحملون أسلحتهم،[١٧]

ويبدو أن احد قضايا الخلاف بين أبو إبراهيم والشيخ القسام كان موضوع الطواف بالقرى بالسلاح، كما قال إبراهيم الشيخ خليل.[١٨]

وعن اكتشاف مجموعة القسام قبيل معركة يعبد يذكر أبو إبراهيم:

"بعد حوالي الشهر حدث أن أشخاصاً مجهولين قاموا بقطف الحمضيات من الكبانيات اليهودية القريبة (مستعمرة حارود). ومروا قرب المغارة التي كان القسام وإخوانه كامنين فيها. فأرسل البوليس شاويشاً وشرطياً وقصاص أثر للبحث عن هؤلاء الأشخاص المجهولين، وحين وصلوا قريباً من المغارة التي ينام فيها القسام رآهم محمود سالم وكان يقوم على الحراسة في مكان بعيد عن المغارة فأخبر يوسف الزيباوي ، وكان يحرس باب المغارة، بأن هناك عسكر قادمين باتجاهنا، هل أطلق عليم النار؟ ، وحين وصل الخبر للشيخ القسام قال: إذا تجاوزونا لا تطلقوا عليهم بل اتركوهم ، لكن محمود سالم اطلق النار على الشاويش فقتله وفر الآخران، فأمر القسام: اجمعوا أغراضكم بسرعة لنغادر هذا المكان فسيأتي الجيش قريباً ويطوقنا.

وبالفعل غادروا المغارة واتجهوا رأساً إلى حرش يعبد، غير أن عيون الجواسيس كانت وراءهم فأكتشف الجيش البريطاني مكانهم ، وفي فجر اليوم التالي طوق المنطقة التي يتواجد فيها الشيخ القسام وإخوانه، وكان مع الانكليز ضابط اسمه أحمد النايف فصاح على القسام ليسلم نفسه، ولكن القسام رفض التسليم ورد قائلاً: أنا لا أسلم لكم، أنا لا أسلم إلا لله. ودارت المعركة بين الطرفين.. فأصيب القسام خلالها إصابة قاتلة كما استشهد عدد

من إخوانه وأسر عدد آخر بعد أن أصيبوا بجراح بينما تمكن آخرون من كسر الطوق والانسحاب ومنهم فرحان السعدي ويوسف أبو درة ومحمود سالم. أما الشهداء فمنهم الشيخ يوسف الزيباوي ومحمد أبو قاسم خلف ومحمد عطية أحمد.

وكان عدد الأسرى الجرحى سبعة وهم: حسن الباير وعربي بدوي وأسعد المفلح والشيخ نمر السعدي وداود علي الحطاب ومعروف الحاج جابر".

كانت القوات البريطانية التي اشتركت في معركة يعبد تناهز ال ٥٠٠ جندي تساندها الطائرات الاستكشافية، مقابل ١٥ مجاهداً؛ ورغم ذلك فقد استمرت المعركة من الفجر حتى الساعة العاشرة، وحولت قضاء جنين إلى ساحة حرب، كما وصفت جريدة فلسطين المعركة في اليوم التالي، ١٩٣٥/١١/٢١.

وقد حكم على كل من الباير وعرابي وأحمد الحاج بأربعة عشر عاماً، بينما حكم على الآخرين بمدة سنتين. وهذه الأحكام المخففة التي صدرت مع انفجار ثورة ١٩٣٦ جاءت كمحاولة لامتصاص النقمة الجماهيرية التي انفجرت إثر استشهاد القسام.

الفصل الخامس

معركة يعبد تشعل ثورة الـ ٣٦

لم تكن معركة يعبد والاستشهاد البطولي للقسام ورفاقه سوى الشرارة التي لم تلبث أن أشعلت النار في السهل كله؛ فقد قرر القساميون الاستمرار بالمعركة إلى أن انفجرت الثورة الفلسطينية الكبرى في نيسان ١٩٣٦، وعن ذلك يقول أبو إبراهيم الكبير:

"بعد استشهاد الشيخ عز الدين القسام عام ١٩٣٥ نفذ من الطوق الشيخ فرحان السعدي ويوسف أبو دره ومحمود سالم والزيباوي، ثم مع من بقي من جماعة الشيخ قررنا مع بعض أن نتابع الثورة.. فتحمّس الناس لها، وبدأوا يستعملون سلاحهم، في الهجوم على المستعمرات وفي ربط (عمل الكمائن) الطرق للسيارات اليهودية والنقط الانكليزية.

في ذلك الوقت كنت قد خرجت من حيفا إلى قرية سولَم قرب العفولة، وأقمت في بيت الشيخ نايف الزعبي، مع زوجتي وابنائي، وكنا نقلنا من حيفا. والفترة التي بقيت فيها في سولم، يمكن أربعة أو خمسة أشهر..

أخذت القيادة القسامية تجتمع في سولم كل ليلة بعد الغروب وتتفق على الخطط والأهداف التي تنوي مهاجمتها. وكان من بين أعضاء الجمعية الذين يجتمعون في سولم الشيخ نايف الزعبي وموسى النصر. وكان ينضم لنا من القرى المجاورة الشيخ فرحان السعدي وأبو إبراهيم الصغير (توفيق الإبراهيم) ومحمود سالم والشيخ سعد البدوي وغيرهم. أما أعضاء الجمعية في حيفا فقد بقوا في المدينة، ومنهم أبو خالد (محمد صالح الحمد).

وبدأ أبناء الجمعية في القرى بمهاجمة الكبانيات (المستعمرات اليهودية) التي في المرج. كان اليهود وقتها لا يستطيعون الدفاع عن كبانياتهم، كانوا محوطين الكبانيات بسياج

(شريط شائك) وكانوا نائمين ولا يجرؤون على الخروج لمقاومة المهاجمين. الجيش الانكليزي في الليل هو الذي كان يدافع عنهم. ويشتبك مع المجاهدين، وفي آخر المعركة يرجع المجاهدون ويتفرق كل واحد إلى بلده لثاني ليلة، يتجمعون... ويهاجمون كبانيه غير الكبانية اللي هاجموها أول مرة. الجيش البريطاني استكثر هذه الحوادث وصار يتجسس على الذين يهاجمون المستعمرات، فأخذ خبرا بأن هذه الهجمات تنطلق كل ليلة من قرية سولم.

حضرت قوات انجليزية من الناصرة مع الفجر وطوقت المنطقة... جاء صاحب البيت الزعبي الصبح ونبهني: البلد اطّوقت، قمت طلعت من البيت على بستان زيتون قريب جنب البلد، الجيش صار بالبلد، على البيادر يسأل عنا... أنا قعدت في الكرم تحت زيتونة من ناحية الغرب. بعد ما طلعت الشمس وارتفعت وخلصوا تفتيش وسؤال، وصل الجيش الانجليزي الذي يلبس تنورة، على البستان من الشرق، طبعاً كانوا يفتشون نواحي البلد أيضا، نزلوا ودخلوا البستان، لما شفتهم قلت لحالي: إذا ظليت قاعد بدهم يسألوا، وإذا مشيت يمكن يطخوني ، رحت قمت واتجهت عليهم.. ما أظهرت إني كثير مهتم أو إني مرتبك، مشيت عادي وكأنّ لا شي هناك، تقدمت من بين الجنود وتخطيتهم إلى الشرق وصاروا يتحدثون مع بعض لكن ما في حدا سألني، وما كان معهم إبن عرب، كلهم إنجليز. فلما اتخطيتهم دخلت القرية، وكان الجيش قد غادرها.

وكان عندي فرس مربوطة أمام البيت، حطيت رجلي في الركاب ولوحت عليها متوجهاً نحو الجبل إلى سيلة الظهر والحارثية واليامون. وهناك اجتمعت بأبو درة، ثم جاءنا الشيخ فرحان السعدي وأخوان آخرون، كما انضم لنا مجاهدون من حيفا وبقية المناطق. ومن هناك أعلنا الثورة عام ١٩٣٦، وبدأنا ننظم هجمات كبيرة على المستعمرات اليهودية وكانت أولى

عملياتنا الهجوم على مستعمرة "مشمار هايميك" القريبة من نواحي اليامون والسيلة".

تواصلت الثورة المسلحة وامتدت في جميع أنحاء البلاد، وتولى قيادة منطقة جنين والجليل ثلاثة من أبرز القادة القساميين وهم أبو إبراهيم الكبير والشيخ فرحان السعدي والشيخ أحمد عطية. وخلال مجرى الثورة كان القساميون يشغلون مناطق عديدة في فلسطين، وحين تخلو منطقة باستشهاد قائدها ينتدبون لها قائدا بديلا مباشرة وأحياناً بالتنسيق مع الهيئة العربية، كما يذكر أبو إبراهيم حين تم "تعيين يوسف أبو درة في منطقة جنين إثر استشهاد الشيخ القائد أحمد عطية"، ومن القيادات القسامية التي ذكرها كذلك: "محمد صالح الحمد (أبو خالد) الذي تولى مشاريق نابلس، أما منطقة الساحل فكان يقودها القائد القسامي حسن سلامه، وفي منطقة بيسان كان فيها ناس من جماعتنا، وفي منطقة وادي خالد الشيخ محمود اشتيوي وكان رئيس فصيل، وفي مشاريق جنين ، انتدبنا شاب أسمه أبو عدنان، ولما أبو كمال استشهد، طلبوا منّا نشغل منطقته، وكان مع القساميين أسمه أحمد، قريب أبو كمال ومن منطقته في الأساس، انتدبناه يشغل المنطقة، لكن ما استطاع يقوم مكان أبو كمال، فحاولنا نسنده، كل البلاد كانت مشغولة بالقساميين.

قيادات أخرى

ويضيف أبو إبراهيم الكبير:

"في جنوب فلسطين ما كنا موجودين، كان في عبد القادر الحسيني في قضاء القدس ، وفي الخليل كان إبراهيم أبو دية الذي أصيب في إحدى المعارك وتعالج في الجامعة الأميركية في بيروت وتوفي بعد ذلك بفترة.[١٩] وتولى عيسى البطاط، وهو من الظاهرية، قيادة منطقة الخليل، (توفي اغتيالا عام ١٩٣٨).

"وظهرت قيادات جديدة من خارج أعضاء الجمعية القسامية، ولكنها تسير على خطى

القسام وتتعاون ميدانياً مع القيادات القسامية في المناطق المجاورة. وكان أبرز هؤلاء القادة عبد الرحيم الحاج محمد (أبو كمال الذي عرف في كثير من مراحل الثورة باسم القائد العام)، وعارف عبد الرازق (أبو فيصل). وكانا يقودان منطقة طولكرم وقلقيلية ومغاريب نابلس، وفي منطقة القدس برز القائد عبد القادر الحسيني، ثم دخل فوزي القاوقجي ومعه ٥٠٠ مقاتل عراقي. وبدأت الثورة تتسع وتقوى". حتى أن الاحتلال البريطاني رصد مكافأة مقدارها ٥٠٠ جنيه إسترليني لمن يرشد عن أبو إبراهيم، ومثلها عن أحمد عطية وعبد الرحيم الحاج محمد، كما رصد مبالغ أقل للقيادات الأخرى.

من عمليات ثورة ٣٦- ٣٩

معركة "مشمار هايميك"

من موقعه في قيادة منطقة الجليل الفلسطيني يروي أبو إبراهيم جوانب من المعارك التي خاضتها الثورة في تلك المرحلة يقول:

"بعد أن قمنا بعمليات رصد ومراقبة لمستعمرة "مشمار هايميك" انتقلنا ليلاً إلى قرية "روحه" القريبة من المستعمرة، وهناك بقينا طيلة النهار في بيت أحد المجاهدين، وعند الغروب اتجهنا نحو المستعمرة، وكمنا على مرتفع قريب نستطيع منه السيطرة على المستعمرة ومراقبتها. كانت المستعمرة على الطريق العام بين جنين وحيفا، جهة السيلة الحارثية واليامون.

مع حلول الظلام اقتحمنا المستعمرة من الشرق ومن الجهة الخلفية حيث طبيعة الأرض المرتفعة تساعدنا في السيطرة النارية على مواقع المستعمرة القائمة في منطقة سهلية. وقد باغتنا العدو بإطلاق النار من أماكن قريبة جداً على مواقعه وبراكياته فدب الذعر في

صفوفه وارتفع الصراخ من داخل البراكيات، وكانت المفاجأة وإطلاق النار القريب سبباً في إيقاع خسائر كبيرة بينهم، راح منها كثير، ليس أقل من عشرين.. ما عديناهم..الدنيا ليل والهجوم كان على براكيات مسكونة. وأصيب مجاهد واحد فقط بجراح.

استمر الهجوم إلى أن وصلت النجدات الانكليزية، من منطقة حيفا، إلى المستعمرة، وكانت مزودة بالسيارات والدبابات.. فقررنا الانسحاب. وبالفعل بدأنا بالتراجع باتجاه الجبل ونحن نواصل إطلاق النار على المستعمرة وباتجاه القوات الانكليزية.

وكان يوسف أبو درة المكلف بانتظارنا في موقع خلفي مع الفرس قد بدأ يتعرض للخطر حيث أصبح في مرمى الرصاص الانكليزي، فاضطر للانطلاق على الفرس بعيداً، ثم التقينا به بعد ذلك في الجبل.

كنا نريد أن نصل إلى الجبل بسرعة حيث يمكننا الدفاع عن أنفسنا ومواجهة الجيش الانكليزي، ولهذا قررنا سلوك المرج المكشوف، رغم مخاطره، لأنه يتيح لنا إمكانية الحركة بسرعة. أما النجدات الانكليزية فقد سارت على طريق حيفا – جنين، القريب من "السيلة" لتحول دون وصولنا إلى الجبل. غير إننا أرسلنا فصيلاً لقطع الطريق على الجيش، وقد تمكن هذا الفصيل من نصب كمين للنجدات الانكليزية وبدأ بإطلاق النار عليها من جهة الجبل مما أوقع إصابات كثيرة في صفوفها ومنعها من التقدم.

كان التعب والعطش قد فتك بالمجاهدين من جراء الركض والمشي السريع فطلبوا مني أن يستريحوا قليلاً واشتكوا من شدة العطش.

قلت لهم أنا سأسقيكم ولكن عليكم أن تصمتوا تماماً. فاستغربوا الأمر، ورحت أتنصت لصوت الضفادع التي تصل إلى مسافات بعيدة في الليل، فحيث توجد الضفادع سنجد الماء. وبالفعل أخذنا نسير باتجاه الصوت حتى وجدنا عين ماء، ورغم أنني نبهت على جماعتي

أن لا يشربوا كثيراً، إلا أن بعضهم لم يستطع أن يمسك نفسه مما جعلهم بعد ذلك يتضايقون كثيراً، فأصبحت حركتنا بطيئة وكنا نضطر للتوقف مرات كثيرة، ولكننا لحسن الحظ وصلنا إلى الجبل حيث لا تستطيع القوات الانكليزية الوصول إلينا."

معركة كفار نعايمة

"بعد معركة "مشمار هايميك" جهزنا للهجوم على كبانية كفار نعايمه، جئنا من نواحي جنين على قرية صغيرة أسمها الجعارة وكمنا فيها كل النهار وآخر النهار توجهنا من جعارة نحو كبانية كفار نعايمة تحركنا مبكرين حتى كشفناها ثم هاجمناها بعد ما طب (حل) الليل، كان هجوما شديدا وناجحا ثم كالعادة جاء الانجليز بسياراتهم من نواحي حيفا على الشارع العام القريب على الكبانية، عندها انسحبنا. كنا نقوم بغارات سريعة لأننا لا نستطيع اقتحام الكبانيات والبقاء فيها لأنه إذا طلع علينا النهار هناك الجيش الإنجليزي يقوم بتطويقنا، ولذلك كنا ننسحب قبل طلوع النهار بقليل.

وكنا نرسل فصائل لمهاجمة الكبانيات في مرج ابن عامر وحوله، وكان عدد الفصيل يتحدد حسب طبيعة الهدف والخطة، وكان العدد يتراوح بين ١٥ و ٦٠ مقاتلا".

وكانت الفصائل تقوم إلى جانب العمليات العسكرية بمهمات جانبية تربك العدو وشبكة اتصالاته كقطع الأسلاك الهاتفية وقطع أشجار بيارات اليهود وحرق متاجر ومصانع لليهود ونسف جسور وأنابيب البترول وخاصة قرب بيسان وقرب قرية أندور وجنوب بلدة شفا عمرو.

وفي هذه الأثناء تفاقمت أحداث فلسطين مع الإضراب الكبير واشتعال نار الثورة فيها، وكانت الهيئة العربية العليا قد غادرت القدس إلى بيروت وتولت النواحي السياسية في

الثورة الفلسطينية، وهناك اتفقت مع فوزي القاوقجي أن يأتي إلى فلسطين للاشتراك في الثورة. وكُلف بتجهيز قوة من المتطوعين لنجدة فلسطين. فبدأ الاتصال بالأردن وسورية ولبنان لاختيار الشبان العرب المجاهدين وتزويدهم بالسلاح وإرسالهم إلى فلسطين، وصل القاوقجي على رأس حملة من العراق (١٩٣٦/٨/٢٥) واتخذ من مثلث نابلس ومنطقة جنين خاصة ساحة لنشاط حملته ووزع بوصفه القائد العام للثورة منشوراً ثورياً يدعو فيه الثوار إلى الالتفاف حوله والانضمام إليه.

خاضت قوات الثورة بقيادة القاوقجي معارك عدة هزمت فيها الإنجليز وألحقت بهم خسائر كبيرة، وكانت قوات القاوقجي حين تقع بالتطويق من الجيش الإنجليزي يسارع القساميون وكذلك أبو كمال وأبو فيصل بفك التطويق عنه فتمكن أن يصمد ويستمر".

ولكن وعندما أُعلنت الهدنة بين الإنجليز والفلسطينيين وفُك الاضراب بقرار سياسي من اللجنة العربية العليا بعد وساطة ملوك العرب ورؤسائهم، أوعزت القيادة السياسية للقاوقجي بسحب قواته من فلسطين، فانسحب عبر نهر الأردن إلى شرق الأردن، وهناك سرح معظم القوات وعاد مع المفرزة العراقية إلى العراق.

وهكذا استعمل الانجليز كعادتهم المكر والخداع.. فطلبوا من الهيئة العربية العليا أن إيقاف الثورة كي يرسلوا لجنة، تبحث في القضية وتعطي حلا فيها، الهيئة استشارت الدول العربية، وطبعا معروف في ذلك الوقت ماذا كانت الدول العربية. والنتيجة توقفت الثورة".[٢٠]

ولكننا، بعد ما توقفت الثورة، بقينا في مواقعنا في فلسطين ولم نغادرها كما فعلت القيادات الأخرى، مدة ثلاثة أشهر لحماية الثورة والسلاح والمجاهدين، لكن لما علم القساميون الثلاثة خليل عيسى والشيخ عطيه أحمد والشيخ فرحان السعدي بأن الجيش الانجليزي يتقدم نحوهم ويحاول تطويقهم وما سيؤدي إليه ذلك من اشتباكات بينهم وبين الجيش الانجليزي، وبأن

الانجليز سيدّعون أن القساميين هم سبب فشل اللجنة.. فقرروا الخروج مؤقتاً إلى الشام.

ثم جاء صدور قرار لجنة بيل لغير صالح أهل البلاد بتقسيم فلسطين إلى ثلاث دول، وكان من جملة قرار اللجنة اعتبار لواء الجليل غير ثائر وممكن أن يكون من حصة اليهود.. فقرر المجاهدون العودة إلى الجهاد .. ورأى القساميون خصوصاً أن يبدأوا إشعال الثورة في لواء الجليل، واتفقوا على الخروج من الشام، بأن يتوجه الشيخ عطية أحمد إلى قضاء جنين ومعه الرجال الذين كانوا فيها وسلاحهم معهم. وخليل عيسى يتوجه إلى لواء الجليل فدعا الرجال الذين اختارهم أن يلتحقوا باللواء وهناك بدت المعارك بين القساميين ومن التحق بهم من المجاهدين وبين الجيش الإنجليزي.

معركة عرابة البطوف

"بدأت أول معركة في عرابة البطوف [٢١] من لواء الجليل قضاء عكا وكانت النتيجة أن فاز القساميون في المعركة على الجيش الانجليزي.. بدأت المعركة من الصباح إلى الغروب، انسحب الجيش يحمل قتلاه وجرحاه. ونحن أيضا انسحبنا، وصارت الطائرات تحوم فوقنا، أنا انبطحت ما شافوني، في اثنين من حرس القيادة ركضوا علي كشفتهم الطائرات ضربتهم، تصاوبوا، وانبطحوا جنبي، لما كشفتهم الطائرات صارت تضربنا نحن الثلاثة ، تضرب الأرض كلها.. طائرة تضرب وتدور، وتكون الطائرة الثانية خلفها ما تلحق تخلص الرشاش إلا والثانية تضرب، والثالثة خلفها، وتكون الأولى دارت وهكذا استمرت العملية.. نحن ما بقينا مبطوحين، لما صارت الطائرات تغير وتضربنا نحن انقلبنا درنا ووجهنا البنادق على الطائرات وصرنا نرش عليها ونقاومها ، أصيبت طائرتان وسقطت في منطقة بيسان، طيارة منها انقتل طيارها، وأذاعوها في الأخبار.

بعد أن نجح القساميون في المعركة انتقلنا في تلك الليلة من عرابة البطوف إلى عرب القديرية في قضاء صفد. وكان معنا جريحان: أبو درويش من عصيرة قضاء نابلس وهو من القساميين طبعا، ومسعود من إجزم. اخذنا من القرية جملاً حمّل عليه هودج وركبوا فيه الجريحين، وكان يقود الجمل الشيخ سعد البدوي، وأوصلهم إلى الشام وهناك أدخلهم المستشفى".

معركة عرب القديرية

"وفي اليوم الثاني اشتبكنا في عرب خالد بن ماجد في قضاء صفد مع الجيش الإنجليزي، كانت المعركة بين خليل أبو شله من جماعتنا وبين الجيش الإنجليزي...

كنا في الليل قد انتقلنا من هذه القرية الصغيرة إلى عرب خالد بن المهدي في قضاء صفد في مكان قريب على "جب يوسف" عند أمير الفخذ خليل أبو شله من عرب خالد المهدي... وصلناها آخر الليل، وقام المجاهد أحمد التوبه المسئول عن مراقبة الجيش الانجليزي ومعه الناظور فاكتشف الجيش الانجليزي وهو محمل السلاح على الدواب وقادم عن طريق الرامة بين عكا وصفد، منطقة مشهورة بالزيتون والزيت. لما اكتشف التوبه أن الجيش الانجليزي يتجه نحونا جاء وأخبرني. فوجدت أن الجيش يتجه نحو منزل الأمير خليل أبو شله، فوزعت المجاهدين وقتها بطريقة لا تسمح للجيش الانجليزي بالتطويق، وأخبرت الفصائل بأنه إذا مر الجيش دون أن يميل عليكم فاتركوه يمر وإذا ميّل عليكم اطلقوا النار عليه. فلما ميّل عليهم اشتبكوا معه. كان في تلك النقطة التي اشتبكوا فيها قائد الفصيل محمود سالم وعدد من المجاهدين أكثرهم من عرب الحجيرات. وكان هناك مجموعة أخرى من الذين اشتبكوا مع الجيش فلما قاربت ذخيرتهم على النفاذ، قرروا الانسحاب من مكانهم والانضمام إلى فصيل محمود سالم. ولكنهم قبل أن ينسحبوا أنزلوا في الانجليز خسائر فادحة منها قتل قائد الحملة.

محمود سالم يوم المعركة ترك منطقته، لمنطقة ثانية جاء الجيش وحط على التلة اللي كان سالم فيها كشفنا وسلط ناره علينا. نحن بعد ذلك حاسبناه عليها.

طلبت من الفصائل أن ينسحبوا انسحابا عسكريا، فأصيب أربعة مجاهدين من جماعة الأصبح. وحين انسحب فصيل الشمال أصيب قائده محمود سالم، وانسحب معنا. وبقيت أنا مع فصيل القيادة لنحمي انسحاب الفصائل ونمنع التطويق والمطاردة.

وصل الجيش الإنجليزي إلى منطقة محمود سالم المرتفعة وبدأ بإطلاق النار رأساً على فصيل القيادة. ولكن بقي فصيل القيادة صامدا إلى بعد العصر، كان الشيخ نايف مطلق جنبي، متخبي وراء حجر كبير، أنا مسكت الدربيل وقعدت على ركبة ونص أناظر لازم أشرف على المعركة، الشيخ مطلق لما شافني ركعت على ركبة ونصف خاف علي ومد إيده مسكني وقال لي: أقعد، لا تصيبك رصاصة.. هو كان وراء حجر منبطح وماد إيده أجت الرصاصة في إيده، جاءوا شالوه في الحال وتداوى.

حين اكتمل انسحاب بقية الفصائل، وابتعدوا طلبت من فصيل القيادة الانسحاب.. كان الجنود الانجليز على بعد ما في ٢٠٠ متر. أنا وقتها كان معي هجينة لأبو خالد، فرس كثير جيدة، مهرة أصيلة، كل هذا الاشتباك ما انهزمت، لما حرس القيادة انسحب، ما رضيت أدشر (أترك) الفرس، خليت الجماعة لما بعدوا حطيت رجلي في الركاب ونمت على الفرس،

ولوحت عليها، ما قعدت مثل الخيال على ظهرها. البندقية قدامي وأنا أطلق النار وأقاوم، لكن الفرس مع هذا ظلت كثير هادية ما خافت، وما ارتبكت، مثل ما أمشيها تمشي، أركضها تركض، إلى أن لحقت بحرس القيادة، ثم انضمينا لبقية الفصائل، وطلعنا الجبل.

أبو شله، كان شايف وكان كثير معجب بفصيل القيادة، وكيف إنّا نجونا من غير ما

نتطوق، وكان يقول: "هذا فصيل القيادة وقف وقفة الأبطال! يا زلمة والله اللي شفناه من أبو إبراهيم ما بتصدق! ما تقول غير إنه محجّب! ركب هالفرس قد الجمل وقف عليها والرصاص نازل عليه مثل المطر والجنود قراب (قريبون) عليه وما انصاب، والله ما يصير غير أبو إبراهيم محجّب! [٢٢]

بعدها الانجليز أحضروا الطائرات كي يكشفوا المجاهدين الذين اشتبكوا معهم في المعركة، وبدأت الطائرات تحوم فوقنا.. كان وقتها في غوصلان، ورق عريض بيطلع بين الصخور، صرت أحش (أقطع بيدي) الغوصلان وأوزع على المجاهدين ليضعوه على رؤوسهم حتى الطائرات ما تكشفهم، وفعلاً جاءت الطائرات وحامت ورجعت وما كشفت حدا.

وقتها كان الجيش الانجليزي يرجع آخر النهار، ويتجنب البقاء خارج المعسكرات، وأراد أن ينسحب من الطريق التي جاء منها. عندما بدأ الانسحاب أرسلنا من عندنا فصيلاً يربط لهم في الطريق (يقيم كمينا).. في الطريق والجنود راجعين آخر النهار مستعجلين كي يصلوا معسكرهم قبل أن يحط عليهم الليل، اعترضهم الفصيل واشتبك معهم وأنزل فيهم خسائر كبيرة. بعد المعركة توجهنا للمكان كي نتفقد إن كان في جريح أو في سلاح وبعدها عندما ذهب الجيش ودخل الليل، انسحبنا.

انتقلنا من عند أمير الفخذ خليل أبو شله إلى عند الأمير خالد المهدي، قعدنا في الصالون، عنده بيت شعر، راح هو وأحضر لنا العشاء، طبعاً نحن لم نأكل منذ يومين، معركة وبعدها كمان معركة... لا أكل ولا شرب، الأمير المهدي أحضر عشاء برغل بعدس مجدرة! أكلنا واسترحنا وشرب الواحد شربة مي وسحبنا لبلد بيت جن قضاء صفد.

****

في البقيعة يهود ومعركة

ومن هناك ثاني يوم انتقلنا لقرية على سفح جبل جنب الجرمق أسمها البقيعة، والبقيعة فيها قسم دروز وقسم مسيحية وقسم مسلمين وقسم يهود.

أنا وزعت خبر على القضاء إن هؤلاء اليهود مسالمين وممنوع أن يعتدي أحد عليهم ولا على طرشهم (حيواناتهم) ولا على أملاكهم ومن يعتدي عليهم ستعاقبه الثورة. فعاش اليهود مع الثورة بسلام ... طرشهم يروح ويأتي من غير رعيان ولا أحد يعتدي عليه.

ونحن في البقيعة طلع الجيش الإنجليزي علينا صباحاً، من نواحي ترشيحا، وطريق ترشيحا/ البقيعة، طريق صعب. لما شفنا الجيش يتجه علينا، ما ظلينا في البلد، كان على سفح الجرمق جبل عالي فيه حرش؛ طلعنا عليه، وصل الجيش البقيعة، جمع أهل البلد وقال القائد لهم:

طلعوا عيسى بدنا اياه، خليل عيسى عندكم.

قالوا له: خليل عيسى كان عندنا؛

قال: ولماذا عيسى عندكم؟

قالوا له : أنتم جيش قوي، وهو خليل عيسى، لا نقدر عليه، ولما يحضر لازم نذبح له الذبائح

قال: ولماذا تخافون لما تحضر الثورة لعندكم؟

قالوا: أنتم حضرتم وهذا خليل عيسى على سفح الجبل تريدونه؟.. اطلعوا له.

لكن أين يطلعون ونحن على الجبل في حرش غاب... سحب القائد الإنجليزي جنوده ورجع. فماذا فعلنا؟ أرسلنا فصيلا على الطريق التي سيرجع منها . الفصيل ربط الطريق وهم راجعين بدأ بإطلاق النار عليهم.. دون أن يتمكن الجيش يشوف المجاهدين أو يصوب عليهم، وهم وسط أحراش! وغاب! ولا يقدر كذلك أن يطلع لجبل ..لذلك (أكلوها) ومشوا

حاملين قتلاهم.. بعدها الإنجليز خافوا، بطلوا يقدروا يطلعوا عالمنطقة كلها.. صرنا في الجبال شبه مستقلين ، نتنقل في المنطقة كما نريد ، ولا يتجرأ الجيش أن يطلع الجبل أو يطوق أو يفتش".

معركة شَعَب

ساعدت الطبيعة الجبلية والحرشية في مناطق الجليل الفلسطيني على تثبيت أقدام الثورة وإقامة مناطق شبه مستقلة فيها، وقد اتسعت دائرة العمليات في تلك المنطقة باستهداف مواقع ودوريات وسيارات اليهود والإنجليز، كما رأينا، وبقيت العمليات والمعارك على هذه الحال إلى عام ١٩٣٩. ومن هذه المعارك معركة (شعب) القريبة من عكا، وعن هذه الموقعة يروي أبو إبراهيم:

"ذكروا لنا إن الجيش الإنجليزي يتجه نحونا في شعب على طرق الجبل. ولكن قبل أن يصل الجيش كنا قد أعددنا له حوالي ٦٠ مقاتلا مجهزين بأحسن السلاح الذي معنا. تجنب الجيش دخول هذه المنطقة وقرر أن ينسحب من شعب باتجاه عكا، ربطنا له في الطريق جنب شعب، تماما في الحرش، ووقع اشتباك كبير بين المجاهدين القساميين وبين الجيش، فكانت خسارة الإنجليز فادحة.

بعد أن انحسرت المعركة نشرت عنها الإذاعات والجرائد وذكرت بأنها أعنف معركة، وبأن المجاهدين نجحوا فيها وكانوا يحملون سلاحا إنجليزيا جديداً، رشاشات وبنادق وقنابل يدوية. فلما نشروا هذه الأخبار، نحن فرحنا لأننا شطبنا ما جاء في تقرير اللجنة البريطانية بأن لواء الجليل هادئ، ويمكن إعطاؤه لليهود. فكيف يمكن أن يعيشوا فيه ما دام الجيش الانجليزي لم يقدر، بل صار لواء الجليل منطقة مستقلة للثورة.

طلاب وثورة

كانت المشاركة العربية في الثورة الفلسطينية تمتد لتشمل مختلف مناطق الوطن العربي وخاصة في بلاد الشام، وكان من البديهي أن يكون الطلبة صغار السن هم الأشد اندفاعاً للمشاركة في الثورة، وعن ذلك يروي أبو إبراهيم هذه التجربة ذات الدلالة التي جرت معه في دمشق يقول: في الشام كان شيخ فاتح مدرسة يعلم الشباب الدروس الدينية، جاءني قسم من طلابه وقدموا حالهم للتطوع في الثورة ، وقتها أنا كنت في الشام، قلت لهم:

أنتم شباب ولا زلتم طلبة علم، وغير مستعدين أو متمرنين على المصاعب، القتال والثورة فيها طلوع ونزول وتعب وبرد وحر ويمكن جوع وعطش.

أصروا على المشاركة، قلت لهم: هناك أيضاً مشكلة أهلكم إذا حدث لأحدكم حادث أو سقط في الميدان، بعدها سنعلق نحن مع عائلته، فلما أصروا قلنا لهم: سنأخذكم بشرط أن تحضروا إخطارا من أهلكم بأنهم موافقين على مشاركتكم في الثورة.. النتيجة أحضروا من أهلهم أنهم موافقون، فأخذناهم معنا وطلعنا للميدان.

والذي حسبته لقيته... أولاد! ما قدروا يتحملوا المشي في الليل وفي وسط الأحراش، طيب وأنا ماشي في الحرش في الليل عارف طريقي، وفيها شوك أنواع، والله أنا لو تضربني عشرين شوكة منها بتحمّل لأني متعود، ضاربني شوك كثير، وماشي في الليل وفي الأحراش كثير وبتحمّل، لكن هذا اللي في زمانه ما ماشي في الجبل بقدر يصبر؟ قعدوا معنا حوالي اسبوعين ما أدخلناهم في معارك، فقط يتنقلون معنا، ولكنهم تعبوا كثيرا، بعدها لما رجعنا على الشام صاروا يشكوا قلت لهم: روحوا الله يسهل عليكم.

صعب على شباب الأحياء في الحميدية وفي حي الميدان، أن يطلعوا على الجبال والأحراش ويمشوا على الشوك، الشغلة ليست سهلة.[٢٣]

الفصل السادس

دروس في التعامل مع العملاء والأعداء

كان على قيادة الثورة المسلحة عام ١٩٣٦، وهي تخوض الحرب على جبهة العدو الرئيسي المتمثل بالصهاينة وبالاحتلال الإنكليزي، أن تخوض حرباً من نوع آخر على جبهة العملاء والمتعاونين مع قوات الاحتلال.

وكان من الطبيعي أن تتعدد الاجتهادات والآراء في كيفية التعامل مع هؤلاء، خاصة في بداية الثورة، وحيث لم تترسخ بعد تقاليد واضحة يمكن من خلالها تحديد أساليب التعامل مع المتعاونين والعملاء. وكان على القيادة القسامية، أن تجترح اسلوباً خاصاً في كيفية التعامل مع بعض ضعاف النفوس الذين قبلوا أن يكونوا عملاء للمحتلين. وتتبع دقة وحساسية هذا الموضوع من الطابع العشائري للمجتمع الفلسطيني، ذلك أن أسلوب التصفيات الانتقامية وحده يمكن أن يقود إلى تأليب أسر وعائلات بأكملها ضد الثورة. ولهذا وجدنا القيادة القسامية تلجأ إلى أسلوب الحوار والإقناع وتوجيه الإنذارات إلى هؤلاء العملاء بإعطائهم فرصة للتراجع قبل أن توقع الثورة بهم القصاص العادل.

أبو إبراهيم الكبير يروي في مذكراته هذه الواقعة ذات الدلالة في كيفية التعامل مع العملاء. يقول: " بعد معركة "مشمار هايميك" بأيام قليلة كنا في "اليامون" فقال لي الشيخ فرحان السعدي: هذا إبراهيم يوسف سأميته ميتة لم يمتها أحد من قبل.

وحين سألت عن السبب قال: هذا جاسوس ويتصل مع رئيس الاستخبارات البريطانية المسئول عن الشرق الأوسط كله، ولهذا سأميته موتة تكون درساً لغيره.

قلت له: ما هذه الموتة؟

فأجاب: سأضع فيه أصبعاً من الديناميت وأفجره.

كان الشيخ فرحان السعدي رحمه الله شجاعاً وعنيداً ورجلاً مخلصاً وأخاً ثقة.

قلت له: لا!! إذا بدأنا الآن باستخدام هذه الأساليب ستتحول إلى دعاية ضدنا فتضعف ثقة الناس بنا فينفضون من حولنا.

قال: نحن لم نحضر أحداً بالقوة أو بالمال، ولكنهم يلتحقون بنا وطنية منهم وثقة بنا.

قلت : ولهذا لا نريد أن نبدأ منذ الآن بالقتل حتى بالنسبة لمن يستحقونه، وعلينا أولاً تجربة وسائل أخرى.

وافق الشيخ السعدي وقمنا بإحضار إبراهيم اليوسف وكنا في مكان قريب من الموقع الذي تصدى فيه فصيل المجاهدين للنجدات الإنكليزية وأوقع فيها خسائر كبيرة بعد الهجوم على "مشمار هايميك".

قلت لإبراهيم اليوسف، وكان فرحان السعدي معي: من أنت؟

قال: أنا عربي.

قلت: ومسلم؟

قال: نعم مسلم.

قلت: هل لك أملاك في هذه البلاد؟

قال: لي أملاك واشتريت فدانين من الأرض وساكن في بيت ملكي.

قلت: كل هذا ومستغني عن فلسطين؟ هل فلسطين رخيصة عليك إلى هذا الحد؟

قال: لماذا؟

قلت له بلهجة من يعرف كل شيء ولا تترك أمامه مجالاً للإنكار: أنت تنقل المعلومات إلى مسئول استخبارات الشرق الأوسط في الكرمل، ونحن نعرض صدورنا للرصاص، لندافع

عن بلادنا وأمتنا حتى لا نسمح لليهود بإخراجنا منها وبأخذها، فتأتي أنت بدل أن تدافع عن بلادك تتجسس علينا!

قال: نحن أهل فلسطين حفنة ولا نقدر على إشهار السلاح في وجه الإنكليز الذين انتصروا في الحرب وعندهم الدبابة المجنزرة والطيارة والجندي المسلح، ونحن لا نملك غير هذه البواريد الصدئة.

قلت: أنت مفهومك يختلف عن مفهومنا. المسلمون في المدينة كانوا أضعف منا، ومع ذلك أسسوا الدولة الإسلامية. كانوا قلة ضعيفة وإلى جانبهم دولتان من أعظم دول ذلك العصر هما الفرس والروم، ورغم ذلك فهذه القلة الضعيفة تغلبت على الفرس والروم ووصلت فتوحاتها إلى أوروبا والصين، ولم يكن معهم دبابة ولا طيارة.

نحن قمنا بالثورة دفاعاً عن أنفسنا وعن بلادنا ضد المستعمرين الانكليز وضد اليهود الذين يهاجرون إلى بلادنا بالسلاح ويقتلوننا في بيوتنا.

وأنت بنفسك رأيت قبل أيام وأمام بيتك كيف إن هذه القلة بسلاحها الصدىء قد ألحقت الهزيمة بالجيش الإنكليزي وبدباباته ورجع مهزوماً.

قال: مدّ يدك.

مددت يدي فعاهدني هو وماله وكل ما يملك في سبيل الثورة، وبأنه سينقطع عن الاستخبارات ويقوم بكل ما تكلفه به الثورة.

قلت له: إذن استمر في وضعك السابق لتنقل لنا المعلومات عن استخبارات العدو، وتنقل له معلومات خاطئة عن الثورة."

ولقد بينت التجربة اللاحقة أن إبراهيم اليوسف تحول إلى مناضل حقيقي في الثورة، وعين لها في قلب الاستخبارات البريطانية.

ويواصل أبو إبراهيم الكبير سرد مذكراته في هذا المجال فيقول:

"أخذ إبراهيم اليوسف بعد انضمامه للثورة يواصل عمله السابق كالمعتاد فيذهب إلى حيفا ويلتقي بقيادة المخابرات البريطانية وينقل لها الأخبار والمعلومات التي سبق واتفقنا معه على تزويد المخابرات بها كعملية تضليل.

وذات يوم التقى به حليم بسطه (مسئول البوليس في حيفا) وقال له: "والله يا إبراهيم اليوسف ما إنت نافع، فهذا خليل عيسى قد فلت من بين أيدينا وأصبح خطراً علينا ، ويقال أن معه ١٠٠ مسلح". وحين سأله إبراهيم اليوسف عما يستطيع عمله، أجابه حليم بسطه: "عليك أن ترصد مكانه وتبلغنا على الفور لتقوم القوات البريطانية بالقضاء عليه".

حضر إبراهيم اليوسف وأخبرنا بما دار بينه وبين حليم بسطه فزودته ببعض الأخبار لينقلها إليه".

زعيم برقة الدرزية

ومرة كنا في برقه، وهذه بلد دروز، جاءنا الشيخ إسْعيد زعيم برقه ودعانا نزور بلده، وقال إنه وطني وصديق ويؤيد الثورة. تلك الليلة بتنا (نمنا) عنده، في أوضه فوق الدار يسميها الشوام "الفرنكله" وقال أريدك أن تنام في هذه الأوضه لأنه كان ينام فيها جمال باشا، وفي فراش جمال باشا ستنام. سهرنا في البيت تحت، ولما صعدنا للنوم طلع معنا على الفرنكله فوق ومعه قنديل، وقتها كان على طريق مجدل الكروم ، في معسكر، نقطة جيش هناك اسمها البيات. وهو طالع معنا على الدرج رفع القنديل لأعلى. أنا شكيت من هالرفعة لأننا نريد أن نرى الدرج فلماذا يرفع القنديل !؟ من جملة من كان معي، النوبي حرس قيادة، فتشاورنا واستغربنا رفعة القنديل وصار عندنا شبهة بأن الرجل أعطى إشارة للجيش الإنجليزي على البيات... أعطيت إشارة للنوبي وهو أيضاً كان حذرا . قام من الصبح مع الفجر وطلع فوق

الدرج، ومعه الدربيل (ناظور) ونظر للناحية التي اشتبهنا فيها، وجد الجيش الانجليزي في نقطة البيات محمل دواب بالأسلحة والذخيرة وقادم نواحينا، قال لي: "تعال شوف"، أعطاني الدربيل نظرت فيه.. بالفعل كان الجيش محمل الأسلحة على الدواب ومتجه نحونا. نحن طبعاً حسب الأصول لازم ننتظر المعزب (المضيّف) الصبح للفطور، تأخر، فكرنا إنه تأخر كي يعطي الوقت للجيش الإنجليزي ليطوقنا.. فقررنا نخبر جماعتنا لنخرج من البلد. لما شافنا طالعين، اعترضنا كيف نطلع قبل الفطور. قلنا له: نحن لا نستطيع أن نتأخر أكثر، وصحونا بكير لأن علينا شغل؛ ولم نخبره شيئاً، لا عن الجيش ولا عن التطويق، وطلعنا من البلد، كان في اثنين من جماعتنا في الشمال جنب الزيتون قرب قرية اسمها جت، وهي للدروز أيضاً. وجدنا جت مليانه عسكر ويتقدم علينا للتطويق ، جيش من الجنوب وجيش من الشمال ... ليطبقوا علينا في برقه. العسكر المتقدم من جت شاف الاثنين، من جماعتنا بين الزيتون في الشمال، أطلق عليهم النار وقتل الاثنين وقتل معهم اثنين من جماعة اسعيد كانوا طالعين يلقطوا زيتون.

الجيش الانجليزي المتقدم من الجنوب ومن الشمال، لما شافنا متحصنين في الأحراش، ما تقدم علينا، لأنه سيكون تحت مرمى النار.. فاتجه نحو الغرب، انسحب وراح. نزلت أنا من هناك بعد ما راح الجيش أتفقد الجماعة وجدت الشيخ إسْعيد، قال لي: شفت، شفت ؟ أنا راح لي اثنين ماتوا.

قلت له: وراح اثنين من جماعتنا ، من المسئول عنهم ، في مسئول عن موتهم.

وما قلت له أنت المسئول، لكن كلمة في مسئول عن موتهم. خلت الشيخ اسعيد يخاف، النتيجة رجع عالبيت خايف، ونحن انسحبنا من هناك وما رجعنا عالبلد، ما كنا متأكدين من وجود خيانة، وكان لازم نتأكد. انسحبنا لبلدة جت، ومنها ليانون.

لما رجع الشيخ اسعيد راح يبعث من برقه أخبار ومراسيل للدروز في كفر سنان وجت ويانون وكسرى ، كي يتوسطوا له حتى يزيلوا شكوكي إنه مذنب أو اقترف ذنب. الجماعة اجتمعوا وطلبوا مقابلتي، أنا بعثت خبر بأننا مشغولين، وأن يؤجلوا المقابلة حتى نخبرهم نحن متى وأين. لما الجماعة رجعوا وعرف بأنني ما رضيت أقابلهم فهم بأن المسألة شديدة الخطورة، فراح لاثنين عرب ليتوسطوا عندي واحد من البقيعة اسمه كامل القاضي والثاني فارس سرحان، من قضاء عكا، قال لهما: أبو إبراهيم يوم صار التطويق عليه في برقه شكّ فيّ وأنا بريء، أبو إبراهيم يريد قتلي، ولكن إذا قتلني الثورة ستنتهي لأن قتلي سيشبك الناس مع بعض، دروز ومسلمين، دروز ومسيحية، وهذه الاشتباكات سيسقط فيها كثير من الضحايا ولا آخر لها، وأنا الآن أوسطكم مع أبو إبراهيم تقنعوه أن يعدل عن قتلي فأنا بريء، جاءني الاثنان وهما من وجهاء القضاء، وطبعا أنا كنت أحترم هؤلاء، ولم أكن أريد حدوث فتنة بيننا كعرب. قلت لهم: أنا لا أريد قتله ، سواء كان مذنبا أو غير مذنب، المسألة انتهت ، وقولوا له بأن لا يخاف.

راحوا عند الجماعة وقالوا له: لا تخف من أبو إبراهيم، ونحن نتعهد بأنه لا يريد قتلك لا أنت ولا غيرك.

وراحت لم أعاقب أحداً لا هو ولا غيره.

لكن الشيخ اسعيد بعد ما وقفت الثورة بفترة اطمأن أكثر، وفي يوم راح على قهوة في عكا، وكان صاحبها واحد معانا في الثورة كاتب متعلم اسمه موسى النجم، وكان اسعيد يعرف أنه من جماعة الثورة فمال عليه، وقال له متباهيا: شوف هذا مسدس من الإنجليز وهذا من الثورة. طبعا موسى اعتبر بأن اسعيد لما أمّن صار عنده الجرأة كي يعترف بصلته بالإنجليز. لكن بعدها ما طول، مات موته طبيعية.

مخبر في طرابة

ومرة واحد من بلد اسمها طرابه جنب الرامه، وهذا مخبر جاء مع الجيش الإنجليزي، شفناه ولما سمعنا عنه مع البحث عرفناه، كنا في بلد اسمها كسرى، وهذه بلد حصينة فوق جبل عالي لا يستطيع الجيش تطويقها أو الوصول إليها بالسيارات والدبابات، وإذا جاء الجيش ماشيا، يكون لدينا الوقت كي نتحضر له ونقاومه، حين كنا هناك أرسلت لجلب المخبر لكسرى، ولما يكون الواحد متأكد من أنه مخبر وأن الخبر صحيح ميه بالميه كنت أحكي معه كأني أعرف إنه فعل، حتى لا ينفي أو يكذب.

قلت له: يا رجل نحن لم نسألك كي تضحي بأي شيء ولا طلبنا منك أن تترك شغلك وتحمل معنا السلاح ، تركناك حرا، ونحن فاتحين صدورنا للرصاص ندافع عنك وعن بيتك، وفوق هذا تشتغل دليل عند الانجليز وتحضرهم لنا عند عرب أبو شله، ويموت ناس من أخوانك؟! فما الذي نابك من هالوشاية؟ خسرتنا رجال وخسرتنا رصاص ؟؟

قال: أنا ما رافقت الجيش بكيفي، الإنجليز لاقوني في الطريق جنب الرامة، وقالولي بدك تروح معنا تدلنا عالثوار قمت جبتهم.

قلت له: طيب وما لاقوش غيرك يدلهم على الثوار؟! ليش جابوك انت ، وليش اجيت معهم؟

النتيجة قال: مش بكيفي غصب عني.

انا وقتها ضربته بالكرباج وقلت له: مرة ثانية إذا اسمعنا عنك أي شيء، سنعدمك من غير محاكمة. وتركناه يذهب.

جاسوس من حيفا ؟

ومرة في واحد جلبه اثنان من حيفا، وكنا نحن في لواء الجليل، وحلف الإثنان اليمين بأنه جاسوس، وقالوا: ولكننا أحضرناه وما رضينا نقتله، خفنا منكم فأحضرناه لكم كي تقتصوا منه. وكان معي وقتها واصف كمال وأبو إبراهيم الصغير، قلت لهما: خذاه وحاكماه، فحكموا عليه بالإعدام.

قلت لهم: يا جماعة هل تعرفون الشهود ؟

قالوا: لا

قلت لهم: يمكن الشهود بينهم وبينه عداوة وأحضروه ليقتصوا منه عن طريقنا، هل نقبل بهذا الشي؟

قالوا: حلفوا يمين.

قلت لهم: إذا كنتم لا تعرفون الشهود يمكن أن يحلفوا ألف يمين كذب، في ناس كثير مستعدين يحلفوا ألف يمين كذب، ولذلك أنا احب أن نطلقه وبعدين إذا تبين لنا بأنه صحيح جاسوس نحضره وبدون محاكمة، على حكمكم نعدمه. وتركناه وما صار شيء من طرفه.

جاسوسة من بنت جبيل

ذات يوم أحضروا للقرية واحدا من بنت جبيل في لبنان، ومعه بنت، ويعملان في معسكر للإنجليز، وأخبرونا بأنهما يأخذان للجيش أخبارا عنكم فأحضرناهم للعقاب.

كان وقتها صار للثورة هيبة قوية، أحضروا الاثنين وصدر الحكم عليهما بالجلد، أحضروا المرأة أولا، جابوا البارودة ورفعوا إجريها، وضربوها أول ضربة فبدأت تصيح صيحات مزعجة، مثل هالمنظر لا يستطيع الواحد يتحمله، قلت لهم: اتركوها، تركوها،

ناديت الرجل الذي أحضروها معه.

قلت له: تعال، الرجال قوامون أليس كذلك؟ وأنتم جواسيس للانجليز، المرأة ليست مسئولة، أنت المسئول عن نفسك وعنها، ولكننا لا نريد جلدها ولا جلدك، حلوها، والآن رأسا على بنت جبيل ... وإذا علمنا أنكم مكثتم نصف ساعة في أرض فلسطين سنحضركم لا للجلد بل للإعدام... ومن وقتها ما عادوا رجعوا .. لكن صار بينا وبين أهل بنت جبيل علاقة طيبة، إذا مريت من هناك يساووا لي سحجة، يصطفوا ويساووا زفة لأني خلصت ولادهم".

المختار كامل الشلبي

الشيخ كامل الشلبي كان مختار المزرعة اتهم بأنه متعاون مع فخري النشاشيبي ضد الثورة فأخذه أبو خالد وأعتقله ليحقق معه، وإذا ثبت عليه يقاصصه. وقتها جاءني أهل بلده ووسطوني، وفعلاً كتبت لأبو خالد ليطلق سراحه، وأطلق سراحه، المختار لم يقتل، مات بعدين موت طبيعي...

عقاب الثورة

هذه الكيفية في التعامل مع العملاء كان إلى جانبها أسلوب آخر ضد العملاء الذين لا يرتدعون، أو العملاء الذين الحقوا أضراراً فادحة بالثورة فتوجب عقابهم من أمثال حليم بسطة وأحمد النايف.

لقد وضع حليم بسطه نصب عينيه مهمة الإيقاع بالقيادة القسامية منذ حادث الهجوم على مستعمرة نهلال الصهيونية عام ١٩٣١. فهو على ثقة إن الشيخ القسام ورفاقه هم الذين يقفون خلف العمليات الفدائية. وبعد اعتقال أبو إبراهيم الكبير آنذاك حاول إحضار أكثر من شاهد زور ضد أبو إبراهيم ولكنه فشل، لكنه لم يتوقف عن مراقبة القساميين ومطاردتهم.

وقد ظل هو والضابط أحمد النايف يتعقبان أخبار القسام بعد خروجه من حيفا إلى أن استشهد في معركة يعبد عام ١٩٣٥، وكان أحمد نايف مع القوات البريطانية التي حاصرت القسام ويقال بأنه قد داس على عنق الشيخ القسام بعد استشهاده. ولهذا فقد قررت القيادة القسامية إعدام حليم بسطه وأحمد النايف.

أبو خالد يقوم بإعدام حليم بسطه

عن عملية إعدام حليم بسطة ذلك يقول أبو إبراهيم الكبير:

"بعد حديث حليم بسطه مع إبراهيم اليوسف بعدة أيام جاءنا من حيفا أبو خالد (محمد صالح الحمد)، وكان يقوم بمهمات كبيرة ومتعددة في المدينة، فأخبرته عما يفعله حليم بسطه وكيف يرسل عيونه خلفنا ليوقعنا بيد الجيش الإنكليزي. وكان أبو خالد ، قبل ذلك، قد أطلق الرصاص على حليم بسطه ورغم إن الرصاصة أصابته في عنقه إلا أنه لم يمت وذهب إلى مصر حيث عولج وعاد ثانية إلى حيفا.

بعد عودته قال له أحد أصحابه المصريين: انتبه لنفسك من هؤلاء الفلسطينيين، ماذا تريد منهم؟ فهؤلاء عندهم قضية لوقف هجرة اليهود إلى بلادهم. وهم يدافعون عن أنفسهم ... فابعد عنهم. إلا أن حليم بسطه رد قائلاً: سأدوس على رأس أهل فلسطين بالجزمة.

بعد أن تقرر إعدام حليم بسطه عاد أبو خالد إلى حيفا وتنكر على هيئة عتّال، وتنكر رفيق له اسمه محمد عبد الله الصفوري على هيئة شحاذ واحضرا عربة خضار ووقفا بها أمام منزل حليم بسطه وكل واحد يخفي معه مسدسا.

بسطه فات اتغذى ، واستراح وطلع بدّو يروح عالوظيفة، ومعه شاويش مصري على صدره نياشين. الشحاد مد إيده .... وبسطه باب الباب ..الشاويش نهره: روح يا ولد..الشحاد ما رد عليه...الشاويش معه باكورة (عصا)، راح لطشه (ضربه) على إيده .. محمد عبد الله

سحب المسدس وأطلق النار على الشاويش... رماه برصاصة وأصيب بجراح مميتة، العتّال أبو خالد متولّف (جاهز) على بسطه، سلط النار عالضرب (جهّز) من مسدسه نمرة ١٢ أصابه، في القرب منهم منجرة، هرب البسطة ودس حاله تحت طاولة النجارة ... أبو خالد لحقه وسحبه من رجليه ودعس على رقبته وفرغ المسدس نمرة ١٢ في راسه... اتخردق راسه وظل بأرضه.

بعديها حين جاء صاحبه المصري ووجده ميتاً قال: "قلت لك اترك أهل فلسطين ، فقلت أنك راح تدعس على راسهم بالجزمة، شوف مين داس على راس مين".

إعدام أحمد نايف

كان الدور الذي لعبه أحمد نايف في قتل الشيخ عز الدين القسام ومطاردة الوطنيين معروفاً للجميع، ولهذا فإن قرار قيادة الثورة بإعدامه كان يمثل مطلباً شعبياً، ولعل موقف الناس بعد قتله يوضح ذلك.

يقول أبو إبراهيم الكبير:

"كان الشيخ عطية أحمد يقيم في قرية الشيخ قرب الكرمل ومعه فصيل من المقاتلين أحدهم من قرية الطيرة، فاستدعاه الشيخ عطية وقال له: أريد منك أحمد النايف مساعد حليم بسطه، وأعطاه مسدساً لتنفيذ قرار قيادة الثورة بإعدامه.

ذهب الطيراوي وكمن لأحمد النايف في حديقة قريبة من الجامع الكبير في حيفا، وعند مرور أحمد النايف أطلق عليه النار فقتله على الفور. وحين تجمع الناس رفضوا إدخال أحمد النايف إلى الجامع للصلاة عليه، سكروا باب الجامع وما حدا رضي يحمله. جابوا طنبر البوليس ونقلوه للمقبرة.. وهناك دفنوه، البوليس دفنه.... ما حدا دفنه... لأن هذا كان أشيع عنه لما انقتل الشيخ عز الدين القسام في حرش يعبد إنه كان مع الجيش، ودعس على رقبة القسام ".

وكان على قيادة الثورة أن توقع العقاب كذلك بعدد آخر من العملاء ومن بينهم أولئك الذين تقدموا بشهادات زور للإيقاع بأبو إبراهيم الكبير والغلاييني بعد الهجوم على مستعمرة نهلال. وعن هؤلاء يقول أبو إبراهيم الكبير:

"بعد قتل أحمد النايف وحليم بسطه جاء دور طه اللوباني الذي تقدم بشهادة زور في المحكمة.. ففي أحد الأيام وبينما كان يجلس في أحد المقاهي تقدم منه عدد من جماعة الثورة وأطلقوا عليه النار فقتل على الفور. أما أحمد فرنسيس الصفوري وهو الشاهد الثاني الذي تقدم بشهادة الزور فقد أطلق الرصاص عليه إلا أنه جُرح فقط، وقد أخذه اليهود وأخفوه في تل أبيب حيث انقطعت أخباره بعد ذلك."

****

اغتيال القادة البريطانيين

لم تقتصر عمليات الاغتيال على العملاء والمتعاونين مع الإنكليز والصهاينة بل امتدت لتشمل كبار ضباط البوليس وسماسرة بيع الأراضي لليهود، كما طالت الحكام العسكريين البريطانيين، ذلك أن بريطانيا هي العدو الرئيسي والخطر الأكبر على القضية الفلسطينية؛ أو كما كان الشيخ عز الدين القسام يقول: "إن بريطانيا هي رأس البلاء، أما اليهود فليسوا سوى الذنب. اقطعوا رأس الحية يموت ذنبها." وانطلاقاً من هذه التعاليم نجد التنظيم القسامي يركز العديد من عملياته ضد القوات البريطانية والحكام البريطانيين ومن هؤلاء حاكم منطقة الجليل لويس اندروز وحاكم لواء جنين ومدير شرطة جنين موفات. وعن هذه العمليات يقول أبو إبراهيم الكبير:

اغتيال أندروز الحاكم العسكري البريطاني في الجليل

"كان الحاكم العسكري البريطاني في منطقة الجليل وأسمه اندروز شديداً وقاسياً في معاملة الناس واضطهادهم، وفي ملاحقة الثوار وذلك لتنفيذ مشروع التقسيم البريطاني بضم لواء الجليل إلى الدولة اليهودية. وقد تكفل باغتياله عدد من أعضاء الجمعية السرية من شباب صفورية، وبعد أن راقبوا تحركاته في مدينة الناصرة، اتخذوا شكل باعة خضار وحبوب مثل الفلاحين الذين يحضرون إلى الناصرة من الأرياف المجاورة، وكمنوا لحاكم اللواء وأطلقوا عليه النار وقتلوه وقُتل معه مساعده جوردن. وقد تمكن الذين نفذوا هذه العملية من الاختفاء وفشلت السلطات البريطانية، رغم كل أعمال البحث والتفتيش التي قامت بها، من الإمساك بأي واحد منهم". وقد جرت عملية الاغتيال عند خروج أندروز من الكنيسة الإنجليكية في الناصرة حيث أطلق شباب صفورية عليه الرصاص فأردوه قتيلاً".

وقد تمت عملية اغتيال اندروز في ١٩٣٧/٩/٢٦.

اغتيال موفارت حاكم جنين

"حين جاء موفارت حاكم اللواء وعمل مركزه في جنين، وكان فيها معسكر للجيش البريطاني كان يضغط على الأهالي وعلى الثوار. أبو خالد كان وقتها قريبا من المنطقة وكان معه أبو محمد أبو جاد من قباطية، أبو خالد كلفه بمهمة قتل حاكم اللواء، أعطاه مسدس ومكتوب وقال له: تأخذ هذا المكتوب وتروح تسلمه لحاكم اللواء في جنين وفي النهار، وطبعاً بدهم يشوفوك ويسألوك شو بدك، ويمنعوك من الدخول عند الحاكم، قول لهم أنا لي شغل مع الحاكم وهذا المكتوب بدي أعطيه إياه ولا ترد على حدا خليهم يفكروا إنه بينك وبين الحاكم سر.

وفعلاً وصل محمد أبو جاد ومعه المسدس تحت المكتوب وقال للحراس، بعد أن حاولوا

منعه من الدخول لعند الحاكم: بيني وبين الحاكم سر وهذا المكتوب بدي أفوت أعطيه إياه، وفعلاً فات محمد أبو جاد لعند الحاكم وبدل ما يعطيه المكتوب أعطاه الطلقة وقتل الحاكم في مكتبه، وخرج ما حدا تجرأ يعترض أبو جاد أو يلقي القبض عليه ونفذ.

الحكومة الانجليزية والبوليس والجيش، في فلسطين طار عقلهم! حاكم اللواء عندهم له قيمة كيف ينقتل وما ينعرف مين اللي قتله، وينقتل في النهار والحراس حواليه، اهتموا كثيرا حتى وزارة المستعمرات في لندن اهتمت. بحثوا ودققوا ما قدروا يتوصلوا إلى خبر أكيد.. كانوا اشتبهوا بأبو جاد اشتباه.. البوليس جابه وحطوه رهن التحقيق وصبوا عليه العذاب من الضرب والكهرباء والكلاب والتعليق من إجريه، وحتى وهو بهالعذاب قال أموت ولكن لن يأخذوا مني حرف. كان قصدهم يجبروه يعترف، لكن لم يأخذوا منه أي اعتراف بتاتاً. وما قدروا يقدموا شهود على أبو جاد ليحكموه إعدام.... وما حدا تجرأ يكون شاهد على أبو جاد، لأن الفترة كانت حامية كثير والثورة إلها هيبة كثير.

وفي النهاية بعد كل هذا التعذيب والتحقيق دون أن يشهد أحد أو أن يصلوا إلى نتيجة ليحكموه فيها، أطلقوا سراحه.بعد اطلاق سراح أبو جاد نزح من فلسطين إلى السعودية وعاش في مكة المكرمة ويمكن لا زال هناك، لست متأكدا، في ناس قالوا رجع على قباطية واشتغل بنّاء،".

وقد تمت عملية اغتيال موفات في ١٩٣٧/٨/٢٣. [٢٤]

الفصل السابع

القوى المضادة وفرق السلام

أدى الواقع العشائري المتخلف في المجتمع الفلسطيني، وغياب تقاليد منظمة في العمل الثوري، ووجود ممارسات سلبية من قبل بعض القيادات مع الناس إلى حدوث أخطاء وتجاوزات وإشكالات بين عدد من قيادات الثورة مع العائلات والزعماء المحليين، مما مكن الأعداء الإنجليز والصهاينة والعملاء من القيام بعمليات تخريب في صفوف الثورة وفي تفشي ظاهرة ما عرف بفرق السلام.. وقد جاءت نشأة هذه الفصائل باتفاق تم بين الإنجليز وفخري النشاشيبي،[٢٥] وفخري عبد الهادي، على أن يقوم فخري عبد الهادي، بموجب هذا الاتفاق بمحاربة فصائل الثورة بالتعاون مع البريطانيين، في حين يقوم فخري النشاشيبي بالتعبئة الشعبية لهذه الفصائل. وقد انضم لهذه الحركة العديد من أبناء العائلات التي قتل أحد أبنائها في موجة الاغتيالات والتجاوزات، من قبل بعض فصائل الثورة أو المحسوبين عليها.

أبو إبراهيم تناول في مذكراته جوانب من هذه الظاهرة، كما تطرق إلى بعض الممارسات السلبية والخلافات داخل صفوف الثورة يقول:

"لما صارت الثورة وجاء فوزي القاوقجي انضم فخري عبد الهادي للقاوقجي ، لكن ليس وحده بل انضم معه آخرون، وبقي مع فوزي إلى أن صارت الهدنة وخرج هو وفوزي إلى العراق،

وكان في بغداد آنذاك فخري النشاشيبي وهناك أرسل له عبد القادر الحسيني واحدا من جماعته وأطلق عليه الرصاص في شارع الرشيد فقتله على الفور.

فخري عبد الهادي غادر العراق إلى الشام، وأثناء وجوده هناك اختلف مع الهيئة العليا التي يقودها الحسيني، غضب فخري ودعى قواد الثورة عبد الرحيم الحاج محمد وعارف عبد الرزاق والقادة القساميين خليل عيسى والشيخ عطيه، وفي الاجتماع طلب فخري من هؤلاء القواد أن لا يتعرفوا على الهيئة العربية ولا على الحسينيين وقال: "إن الحسينيين ليسوا أصحاب البلاد... نحن أصحاب البلاد". لكن لما لم يقبل أحد من القادة كلامه أو أن يرجع معه، رجع وحده، كان متفقا مع البوليس الفلسطيني، يعني مع المسئولين هناك، بعثوا له واحدا لا أعرفه إلى دمشق، واتفق معه أن يساعدوه ويدعموه وينفذوا طلباته، بمعني أن يكونوا إلى جانبه، وعلى هذا الأساس غادر دمشق إلى فلسطين، فبعثت لأبو خالد وطلبت منه يربط له في طريق العودة عند الأمير محمد الصالح حيث كان ينتظر مرور فخري من هناك، وأن يعيده إلى الشام بكل الوسائل. ولكن فخري لم يمر عن طريق محمد الصالح، يمكن راح من طريق ثانية.

وصل فخري فعلاً ودخل بلدة أقاربه في "عرابه"، هناك جمع بعض أقاربه حوله وصار يشتغل ضد الثورة، يعتقل المجاهدين ويجيبهم على عرابة يحاكمهم ويمسك الناس المشتركين في الثورة ويجلدهم ويحبسهم في الآبار، ومنهم من يطلق عليهم النار ويقتلهم، وبقي كذلك مدة طويلة، فحش كثيرا، وخرب كثيرا، لكن طبعاً ظل بعيدا عن لواء الجليل، أكثر تأثيره كان على المناطق القريبة عليه، وفيها أبو كمال وأبو فيصل، وكانوا يتصادمون معه وحصل بينهم وبين جماعة فخري اشتباكات، وحبس وقتل بعضهم، فكانوا يبعثون قوات تهاجم عرابه. الناس ما تحملت فخري وكرهته، بعد مدة واحد من بلده من قرايبه أطلق النار عليه وقتله، خلال عرس ابنه.[٢٦]

أبو دره والحسيني

وكانت العلاقات والممارسات السلبية بين قوى الثورة تنعكس على سلوك وخيارات الناس وبعض القيادات، ويبدو أن بينها العلاقة بين عبد القادر الحسيني والقائد القسامي يوسف أبو درة، وعن ذلك يروي أبو إبراهيم:

الشيخ عطيه أحمد، الله يرحمه، كان يشغل منطقة جنين استشهد (في معركة اليامون ١٩٣٨)، استلم مطرحه يوسف أبو دره لأنه من القساميين ولأنه من المنطقة من بلدة السيلة الحارثية. الهيئة العربية العليا سألونا: هذه منطقة لازم نشغلها؟.

قلنا لهم: فيها أبو دره.

قالوا: أبو دره بيطلع بإيده؟

قلنا لهم: إذا ما طلع بإيد أبو دره نحن نختار غيره.

وظل يوسف أبو دره للأخير إلى أن زعل من عبد القادر الحسيني راح سلم نفسه للملك عبد الله، الملك أخذه ونفاه من عمان للعقبة. قام أولاد مصطفى رحمة، من رمانة قضاء جنين، وكانوا قد اتهموا يوسف أبو دره بقتل واحد منهم ، وأقاموا عليه دعوى عند الإنجليز ، وعلى أساس هذه الدعوى، طلبوا يوسف أبو دره من الملك عبد الله، فسلمه للإنجليز ، الإنجليز عملوا له محاكمة وحكموه إعدام ، وأعدموه ، راح فيها شنق.[٢٧]

رشيد الشيخ

كان يوسف أبو درة نموذجا مشرقا للثورة ولكن في المقابل كان يوجد نماذج سلبية بشعة من بينها تمرد أحد أفراد فصيل أبو درة ويدعى رشيد الشيخ، وهو من قرية الطيرة على الكرمل. وقد شكّل فصيلا من أهل قريته وأخذ يصول ويجول، ويتخذ قرارات ظالمة للمواطنين، مثلما حدث مع أهالي قرية الكبابير المجاورة للطيرة.[٢٨]

هرب ابن الذيب إلى لبنان

في يوم جاءنا قائد فصيل، لا أذكر اسمه الآن ولكنه من قرية الذيب على الساحل، جاءنا مع جماعته من جنوب جنين، يعني من منطقة أبو كمال، وأخبرنا بأن الجيش الانجليزي قادم للجليل بقوات كبيرة لتطويقنا وبأن علينا الانسحاب معه إلى جبال لبنان، بالطبع أنا لم أوافقه وقلت له: نحن ما راح نطلع وخليهم يطوقوا نحن نضمن منع التطويق، ثم إننا هنا لنقاتل والله يعطي النصر لمن يشاء. وطلبت منه البقاء ولم أسمح له بالمغادرة ما رد، راح طلع على جبال لبنان، النتيجة صار تطويق واشتباكات، لكن ما أثرت علينا ولم نهزم، لما رجع من لبنان قررنا معاقبته، وبعثنا استدعيناه. هو لما عرف راح اتفق مع الجيش الانجليزي ومع البوليس أن يكون معهم، ولذلك صار لما يطلع الجيش يطلع معه، ولكنه ما تجرأ على مقاومتنا وحده، بالعكس كان يخاف على نفسه من عقاب الثورة.

عبد الرحيم الحاج محمد وعارف وعبد الرزاق

ويروي أبو إبراهيم عن بعض الخلافات بين زعماء الثورة وممارساتهم يقول:

"اختلف عبد الرحيم الحاج محمد وعارف عبد الرزاق لمن تكون الزعامة والقيادة العامة لمنطقة قلقيلية وطولكرم ومغاريب نابلس، وقتها أنا ما وصلني خبر الخلاف لكن علم به أبو خالد، لأنه كان قريبا عليهم في منطقة مشاريق نابلس، حيث كان يتولى قيادة المنطقة.

أبو خالد خاف على الثورة بسبب اختلاف القائدين وما يمكن أن يؤدي له من اشتباكات.. فأرسل لهما خبراً بضرورة اللقاء لتصفية المشاكل، وعين يوم ومكان الاجتماع في دير غسانه، قضاء رام الله، فاجتمعوا وأصلحهم أبو خالد مع بعض وانتهت المزاحمة على القيادة.[٢٩]

وحين كان أبو خالد راجعا من دير غسانه كان الجيش الإنجليزي رابط في الطريق، أبو

خالد وقع عن الفرس وانفكشت رجله فتأثرت حركته، ورغم ذلك اشتبك هو وجماعته مع الإنجليز في معركة قوية استشهد فيها، وكانت هذه خسارة كبيرة للثورة.[٣٠]

في الممارسة

عن ممارسات جماعات عارف عبد الرزاق يقول أبو إبراهيم:

كانت جماعته تعتدي على الأهالي كثيراً، يطلبون منهم مصاري ويجلدونهم واحيانا يقتلون الشخص زعلا منه، من غير لزوم للقتل. وهذه أعمال ليست مشروعة لا لهم ولا لغيرهم. وكان من الذين يمارسون ذلك نائب عارف عبد الرازق واسمه فارس العزوني".[٣١]

محمود سالم

وعن الممارسات السلبية لبعض القيادات القسامية يذكر أبو إبراهيم:

"كان محمود سالم معنا وهذا ثقيل يعني جثته تقيلة، ونحن سيرنا ليس على طريق اسفلتية دائماً، بل في الجبال وبين الأحراش والصخور. محمود سالم كان لما يتعب يطلب ركوبة، يعني فرس. نحن لا نقدر نعطي واحد فقط فرس لازم الجماعة كلهم يكونوا متساوين، وغير ذلك كان ممنوع يثقّل على الأهالي، ممنوع يضرب، ممنوع يطلب أكل زيادة على ما يقدموه له حتى لو كانت حبة زيتون. لكن محمود سالم، كان لما يفوت على بلد، لا يقبل بأي طعام، بل أن تقدم له دجاجة، أو تذبح ذبيحة، خروف أو عنزة أو سخل ، يأكل ويطلب من المعزّب (المضيّف) إنه يترك له من الذبيحة فخذة ، ليأخذها معه زوادة . أنا نبهت عليه أول مرة وثاني مرة، وكمان في حادث ذكرته يوم معركة القديرية لما ترك موقعه فتقدم الانجليز منها وسلطوا نارهم علينا، فما تجمعت كل هذه المخالفات أنا طلبته وقلت له يجب أن تسلم سلاحك وتسافر من الآن للشام وما ترجع للثورة. وفعلاً سلم سلاحه ومنها انسحب وراح

للشام وظل هناك. لكن ظل يأخذ معاش، كان له زوجتان في الشام واحدة شامية وواحدة فلسطينية.

الفصل الثامن

المفتي والقساميون

لاحظنا خلال متابعتنا لرحلة حياة أبو إبراهيم الكبير أنها تكاد تكرر وتتابع رحلة حياة الحاج أمين الحسيني رغم الخلافات والاختلافات.. وهذه الصلة لم تكن طارئة.. فمنذ وقت مبكر وقبيل الخروج إلى الثورة، في أحراش يعبد، عام ١٩٣٥، كانت القيادة القسامية تعترف بالدور الوطني والقيادي للحاج أمين الحسيني، يقول أبو إبراهيم الكبير:

"أرسل الشيخ عز الدين القسام محمود سالم إلى رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في القدس لتبليغ المفتي بقرار إعلان الثورة ورغبته بمشاركة الحاج أمين فيها، لكن المفتي لم يوافق على الطلب وقال: إن الوقت لم يحن بعد".

وبعد الانطلاقة المسلحة لثورة الـ ٣٦ تأكدت طبيعة هذه العلاقة على النحو التالي، كما يرويها أبو إبراهيم:

" بدأت الثورة تتسع وتقوى وفي أثناء ذلك أرسل الشيخ عز الدين كامل القصاب وهو من أعوان القسام للمفتي يطلب منه أن يكونوا جبهة واحدة : الهيئة العربية العليا تتولى السياسة وجماعة القسام يتولون الثورة العسكرية، فاتفق الطرفان".[٣٢]

ويضيف أبو إبراهيم: "بعد أن غادرت الهيئة العربية العليا القدس إلى بيروت وتولت النواحي السياسية في الثورة الفلسطينية اتفقت مع فوزي القاوقجي أن يأتي إلى فلسطين للاشتراك في الثورة فجاء القاوقجي فعلاً إلى فلسطين واشترك في الثورة".

وهناك تفاصيل مادية مهمة يرويها أبو إبراهيم وتكشف الدور المركزي للهيئة العربية وللمفتي الحسيني بالنسبة للقساميين:

"نحن كما تعرفون لم نكن نطلب مصاري من الناس أبداً، وحتى لما كان في ناس يأتون إلينا كي يدفعوا لنا مصاري ، لم نكن نرضى ونقول لهم: هذه هي الهيئة العربية ادفعوا المصاري لها، حتى في ناس من جماعتنا المجاهدين أخذوا سبائك ذهب من البريد، وأنا أمسكت بهذه السبائك، محض صدفة، وكان وقتها المعتمد من قبل الهيئة العليا عزت دروزة، رحت سلمته السبائك وقلت له: هذي السبائك جابها المجاهدون، وانتم من يدفع من الإعانات التي تصلكم تبرعات للثورة. وهذه السبائك! خذوها وتصرفوا فيها كما تشاءون، أما أنا فلن أتصرف فيها. ولا زال دروزه إلى اليوم (١٩٧٧) حين يكون مناسبة في الحديث عن الثورة يذكر هذه الحادثة".

كان ذلك هو وموقف وسلوك القساميين بما يتصل بمرجعية الهيئة العربية ويذكر أبو إبراهيم في هذا المجال " كان أبو خالد،(محمد صالح الحمد) الله يرحمه، يقول لي: "كانوا يدفعون له بالمائة وخمسين دينار، فأقول لهم: لا، أنا لا استلم نقودا" ، وكنت أقول له: طيب جد واسطة بيننا وبين الهيئة وخذ أنت المصاري كي توزعها" ، ما قبل. وراح أعطاها للهيئة".

بل تكاد الهيئة العربية العليا تشكل المرجعية العسكرية للقساميين رغم استقلالهم، فيقول أبو إبراهيم في هذا الصدد: "كل ما فرغت منطقة من القيادة العسكرية، كانت الهيئة تطلب منا نحن أن نشغلها، لما عُرف عن القساميين من استقامة".

رسول المندوب السامي البريطاني لمقابلة أبو إبراهيم

ولاحقا في عام ١٩٣٨ أرسل المندوب السامي البريطاني رسولاً لمقابلة أبو إبراهيم في دمشق فرفض مقابلته وأبلغه ومن معه أنه عسكري، أما المسائل السياسية فعليهم سؤال المفتي الحاج الحسيني عنها في بيروت.

ويروي أبو إبراهيم تفاصيل هذا اللقاء على النحو التالي:

"لما اشتدت الحوادث في الجليل، بعث المندوب السامي وفدا حتى يقابلني وكنت وقتها موجودا في الشام، كان ذلك في أثناء الثورة، لكنني موجود في الشام. كان الوفد سافر إلى بيروت وسأل واحدا كان ضابط بوليس في حيفا، وكان وقتها في بيروت، كيف يستطيع الاتصال بي وبجماعة الثورة، فأخبرهم الضابط أنه يعرف شخصا منهم أسمه خضر، في بيروت وينتمي للثورة فدلهم خضر عليّ، الوفد طلب منه أن يوصلهم إلى الشام لعند أبو إبراهيم.

قال لهم: ماذا تريدون من خليل عيسى؟

قالوا: نحن وفد من قبل المندوب السامي البريطاني بمهمة ونريد أن نبلغه إياها.

أحضرهم إلى الشام لعندي، كنت وقتها في البيت، ترك الوفد واقفا بره البيت وفات هو وحكى لي عن مهمة الوفد.

قلت له: قل له أن يخبّر وفد المندوب السامي البريطاني بأن الموضوع في ظني بين أمرين، إما يريد يرشيني كي أوقف الثورة، أو يريد يعطيني وظيفة، وكلا الأمرين لا أوافق عليهما، وما دمت لن أوافق، فلماذا أقابل الوفد، لأنني لو قابلته يجوز هذا الخبر يشيع بين الناس فيظن من يسمع بأنني اتفقت مع المندوب السامي على وقف الثورة وارتشيت، ولذلك أنا غير موافق على المقابلة، وطلبت منه إن يخبر الوفد بأن المفتي واللجنة العربية العليا في بيروت هي الجهة المسئولة عن السياسة. خليهم يروحوا لعندهم، رجع وأخبرهم أن أبو إبراهيم يقول إن المندوب السامي مهمته سياسية وأبو إبراهيم ليس سياسيا، وإن المسئولين عن السياسة المفتي والهيئة العربية العليا تفاهموا معها.

قالوا له: الهيئة العربية العليا نحن نعرف أين هي والمندوب السامي بعثنا لعند خليل عيسى. ورجعوا من غير ما أقابلهم.

وحتى في ألمانيا حين حاول مندوب من رشيد عالي الكيلاني استمالة أبو إبراهيم ضد المفتي قال له: "إحنا إلنا قضية في فلسطين، والمفتي زعيم فلسطين ونحن نحمي قضيتنا ولا يجوز أن نختلف، لأنه إذا اختلفنا مع المفتي لا نقدر على خدمة قضيتنا".

ورغم التباينات في الموقف من وقف الثورة المسلحة بين القساميين والمفتي فقد ظلت المرجعية في النهاية متمثلة بالحاج أمين يقول أبو إبراهيم في هذا الصدد:

" في سنة ١٩٣٩ حين وقعت الحرب الثانية بين الانجليز والألمان، الحلفاء والمحور، أرسل المفتي رئيس الهيئة العربية العليا للقساميين خبرا عن طريق معتمد الهيئة عزت دروزه أن نوقف الثورة، وطلب أن نأتي إلى العراق استراحة إلى أن نعيد الثورة مرة ثانية. نحن عارضنا... واحتجينا للمعتمد دروزة على قرار وقف الثورة، قال هذا هو طلب المفتي رئيس الهيئة العربية العليا.

قلنا: وقف الثورة لا يجوز لأن الخسارة كبيرة ولا نعرف بعد ذلك إذا كنا نستطيع أن نعيد الثورة أو لا.

قال: إن أردتم الاحتجاج روحوا لعند المفتي في لبنان. وذهبت إليه أنا شخصياً.

دخلت أنا ومن كان معي في لبنان حيث كان المفتي والهيئة العربية هناك في "الشيخ نعيم".

سألت: هل الخبر صحيح؟ وهل الأمر صادر عن الهيئة العربية العليا؟

قالوا: نعم.

فقلت لهم: لا يجوز وقف الثورة بعد كل هالخسائر بدون أن نحصل على شيء.

قال المفتي: لا نستطيع أن نستمر ما دام الحرب صارت بين الحلفاء وألمانيا. والفرنسيون صاروا يضايقوننا وصار من الصعب وصول الإعانات إلينا والبقاء في لبنان .

قلنا: الثورة عندنا في لواء الجليل وفي المناطق التي يشغلها القساميون لا تزال قوية

وباستطاعتنا أن نستمر إلى أن نصل إلى نتيجة طيبة.

قال المفتي: الآن نحن نقوم بمساعي سلمية، وإذا فشلت نرجع بعد ذلك ونعيد الثورة.

قلت له: أنا لا أعرف إذا كنا بعدين نتمكن نعيد الثورة أو لا ... بروح السلاح وبتروح القيادات وبروّح كل واحد لشغله فلا نعرف نحن أن نقود الثورة .

ولكن المفتي والهيئة العربية العليا بقوا مصرين على وقف الثورة. حاولنا لكن المفتي لم يرد، وأخذ ليسيه باسيه (laisez passer) من الفرنسيين المرور فيها مشروع من سوريا، وأخذ الموافقة من حكومة العراق من رشيد عالي وسافر". [٣٣]

ولكن القساميين لم يسافروا بل عادوا أو بقوا في البلاد يشعلون الثورة.

يقول أبو إبراهيم "نحن رجعنا إلى جنين وفي قرية الشيخ عطية صارت معركة استشهد فيها الشيخ عطية. استلم مطرحه يوسف أبو دره، لما رجع القساميون الكل رجع: عبد الرحيم الحاج محمد وعارف عبد الرزاق رجعا على مناطقهم ما عدا فوزي القاوقجي ما رجع.

ولكن حين سافر المفتي والهيئة العربية إلى العراق وانقطعت الإمدادات عن القساميين اضطر أبو ابراهيم والكثيرون غيره من قيادات الثورة للسفر إلى العراق.

عن تحركات المفتي في هذه المرحلة يقول أبو إبراهيم:

"بعد ان مكث المفتي في العراق قرابة سنة أو سنة ونصف هاجر المفتي مع رشيد عالي الكيلاني إلى إيران ومنها إلى برلين وبقي فيها إلى أن انكسرت ألمانيا وبدأت جيوش الحلفاء تدخل الحدود الألمانية".

وهذه الرحلة نفسها يكاد أبو إبراهيم الكبير يكون قد قطعها، خطوة خطوة، ولكن كعسكري وليس كسياسي، كما سنرى.

الفصل التاسع

بغداد دمشق حلب

مع بدايات الحرب العالمية الثانية، كان الوضع في المنطقة، بالنسبة للقيادة الفلسطينية، شديد الإرباك.. فسوريا ولبنان اللتان كانتا تخضعان في بداية الحرب عام ١٩٣٩ لحكومة فيشي الفرنسية الموالية للألمان لم تلبث أن انتقل ولاء مندوبها السامي إلى الجنرال ديغول والحلفاء عام ١٩٤١، وباتت القوات الفرنسية والبريطانية في لبنان وسوريا وفلسطين والأردن تشكل منطقة تحالف مشتركة وصلت دائرة عملياتها العراق، وأسهمت بإسقاط ثورة رشيد عالي الكيلاني.. مما اضطر الكثيرون أن يغادروا إلى ألمانيا وبعض الدول الأوروبية ، فمعظمهم كانت رؤوسهم مطلوبة من قبل السلطات البريطانية،[٣٤] في كل المنطقة: فلسطين والأردن والعراق وحتى إيران، وبما فيها سوريا ولبنان، ومن بين هؤلاء المفتي الحاج أمين الحسيني وذو الكفل عبد اللطيف وعدد من القساميين، من أبرزهم أبو إبراهيم الكبير [٣٥]، وحسن سلامة. ومن الذين ذهبوا إلى ألمانيا كذلك عبد القادر الحسيني وكان ذلك مطلع عام ١٩٤٤، وتلقى هناك دورة تدريبية على صنع المتفجرات وتركيبها، بعد مدة وفي سنة ١٩٤٦ انتقل إلى القاهرة مع أسرته. كما جاء إلى برلين للعلاج فوزي القاوقجي، وكان جريحاً بعد الاشتباكات التي خاضها مع الانكليز إثر قيام ثورة الكيلاني العراقية ضد البريطانيين.

مع ثورة الكيلاني في العراق

يلخص أبو إبراهيم ما حدث بعد فشل ثورة الكيلاني ضد الإنجليز، وعن محدودية مشاركته في هذه الثورة "اشتبك رشيد عالي مع الانجليز واشتبك الجيش الانجليزي مع

الجيش العراقي، وخرجنا نحن كي نشترك مع الجيش العراقي لكن كانت المسألة صارت منتهية" [٣٦]. ثم يضيف:

"بعد أن مكث المفتي في العراق قرابة سنة أو سنة ونصف غادر مع رشيد عالي الكيلاني العراق إلى إيران ومنها إلى برلين، أما نحن فتوجهنا إلى الموصل ومن هناك أخذنا سيارات لسوريا. كان معنا سيارة من الهيئة العربية العليا. على حدود سوريا والعراق وجدنا الفرنسيون وأخذونا إلى بعلبك. قعدنا مدة".

كان في ذلك الوقت تحالف بين الفرنسيين والإنجليز ولكن هذا التحالف لم يكن يمنع الطرفين الفرنسي والبريطاني من محاولة تكبير حصتهما وتوسيع تحالفاتهما حتى على حساب بعضهما البعض، ولكن بحدود، وبما لا يضر بأساس التحالف، كما سنرى.

إلى سوريا.. محاولة لم تكتمل

كان من جملة جماعة الهيئة العربية العليا في لبنان صفوت الحسيني. وكان الفرنسيون في سوريا ديغوليين ، كانوا شرفاء.

راح صفوت في هذه الأثناء على شتوره وأخبر الضابط الفرنسي بأن من كانوا يقودون الثورة ضد الانجليز في فلسطين هنا، وهؤلاء يستطيعون أن يقاتلوا الانجليز، ودل الضابط على معسكر بعلبك فطلبني على الفور.

قال لي بحضور صفوت الحسيني: هل تستطيع أن ترجع لفلسطين وتقاتل الانجليز؟

قلت: نعم .

قال : ماذا تريد؟

قلت: أريد سلاحا .

قال: ما نوع السلاح؟

قلت: بنادق، رشاشات، قذائف.

قال: إذا كانت مطالبكم كذلك فأنا لا أقدر على حلها، اذهب إلى المندوب السامي في الشام، ونحن نخبره بالأمر، وهناك تتفاهمون.

فعلاً رحت للشام وكان هناك صالح عون الله (من الناصرة) وهو من جماعتنا في الشام، رحت لعنده وهو أخبر المندوب السامي الذي جاء ليتكلم معي عند صالح عون في البيت، وهذا المندوب السامي الفرنسي اكبر واحد في سوريا، لكنه من الديغوليين وليس تابعا لحكومة فيشي الفرنسية.

سألني المندوب السامي: هل تستطيعون دخول فلسطين وقتال الانجليز؟

قلت له: نحن كنا نقاتل الانجليز.

سأل: ولماذا توقفتم؟

قلت: لأنه ما في ذخيرة.

سألني: لهذا السبب رحتوا للعراق؟

قلت: نعم ونستطيع مقاتلة الانجليز في فلسطين من جديد.

قال: ماذا تريدون؟

قلت له: نريد بنادق وقنابل ورشاشات وذخيرة،

قال: هل هناك مطالب أخرى؟

قلت له: نريد جماعة منا على الحدود مع فلسطين بين سوريا ولبنان لتأمين الإمداد بالذخائر. قد لا نحتاج السلاح، ولكن الذخيرة لا بد نحتاجها.

قال: لا.. نحن نعطيكم بندقية لكل واحد وصف فشك، وتتصرفوا، لا نرى وجهكم ولا تتصلوا بنا ولا نتصل بكم.

قلت له: طيب"!.

كان واضحا بالنسبة لأبو إبراهيم أن مثل هذا الدعم غير جدي بالنسبة لثورة مسلحة، إلى جانب أن قيادة المفتي كانت قد قررت أن تغادر إلى ألمانيا، فحسم أمره أن يتابع ذات الطريق.

في حلب

بعد أن روى أبو إبراهيم اللقاء بالمندوب السامي الفرنسي في دمشق يتابع مذكراته:

"ثاني يوم، تركت الشام إلى بيروت وكان الجماعة في الهيئة العربية العليا يريدون السفر من حلب لاجئين سياسيين في ألمانيا، أنا لحقت بهم في حلب، وجدتهم فعلاً مجهزين أنفسهم منتظرين الطائرة.... بعثت لهم رسالة مع واحد من الجماعة قال لهم: أنتم تريدون السفر دون أن تشتغلوا في الثورة أو تكونوا مطلوبين مثلنا. يعني أنتم السياسيون تسافرون وتتركون الذين اشتغلوا في الثورة والمطلوبين للحكومة الانجليزية من غير أن تسألوا عنهم. هذا لا يجوز!! فإما أن نظل معا أو تأخذون الخطرين معكم.

كان معهم في حلب عزت دروزه ، مندوب الهيئة العليا في الشام. لكنه لم يسافر معهم،

قالوا لدروزه: روح اتفق مع أبو إبراهيم شوف ماذا يريد.

جاء للأوتيل، قلت لنفسي هذا هو الرجل طيب، يمكن أن نتفاهم معه.

قال دروزة: ما هي المسألة يا أبو إبراهيم ؟

قلت له: هؤلاء جماعة الهيئة ماذا يهمهم! يسافرون، والذين كانوا في المعركة والمطلوبين من الانجليز يتركونهم ولا يسألون عنهم ، هذا لا يجوز.

قال: طيب أنت شوف جماعتك، ومن بحب أن يسافر معك وخليهم ينتظرون هنا في الأوتيل إلى أن تأتي الطائرة وتأخذكم، ولكن ماذا تريدون من ألمانيا؟ وماذا ستفعلون؟

قلت: نحن جماعة ثورة، هم يسافرون كسياسيين ، أما نحن فنريد أن نكون عسكريين، أن نلتحق بالجيش الألماني كي نتدرب وبعدها نعرف كيف نخلص بلادنا.

قال: طيب ابعث لجماعتك كي يأتوا.

أرسلت لهم. كانوا في حمص، جاء من خلالهم أحمد توبة.

سألني أحمد توبة: ماذا تريد منا ؟

قلت له: أريدكم أن تحضروا كي نسافر... الجماعة السياسيين مسافرين، ونحن مطلوبين للجيش الانجليزي، وهو يبحث عنا في كل بلد يحتلها... نحن نسافر كعسكريين نسافر ونتدرب وحين نرجع سنفيد الثورة ، سيكون عندنا معلومات عسكرية نفيد بلادنا منها.

قال: طيب أنا سأخبر الجماعة في حمص وسنجيء بعد يومين أو ثلاثة، راح ولم يرجع.

كان عندنا هناك من الهيئة العليا واحد أسمه واصف كمال، متعلم ... دارس في انجلترا... هذا كان معي في الثورة. جاء الساعة واحدة في الليل.

قال: هيا يا أبو إبراهيم، جماعتك وصلوا؟

قلت له: لا لم يصلوا.

قال: بعد قليل ستقوم الطيارة، وهي على كل حال ملآنة، إذا جاؤوا سيلحقون بك. أنت تسافر وهذا لمصلحتك، وحسن سلامة سيكون موجودا على الطائرة.

فعلاً أنا قمت ورحت بالسيارة على الطيارة. لم نجد في الطائرة ولا راكب... وحسن سلامه لم يجدوه، (بعد سنوات، لما رجعت، سألت جماعتي، فعرفت سبب عدم مجيئهم، قالوا: نحن عائلاتنا هنا ولا نستطيع تركها) .

أحضروا لي واحدا اسمه محمود التميمي، نابلسي، ليسافر معي. ركبنا الطائرة، نحن الاثنين فقط، الطائرة ألمانية أو إيطالية ضخمة، ولكن إلى أين ستأخذنا ؟..

الفصل العاشر

إلى ألمانيا

في اليونان معسكر التدريب

"ركبنا الطائرة ونزلنا في أثينا. كان الجيش الألماني قد احتل اليونان. في أثينا أرسلنا الألمان إلى معسكر في اليونان، على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. وهناك معسكر خاص لنا نحن العرب، لكن حوالينا كله معسكرات للجيش الألماني، أخذونا هناك لتدريبنا كجنود في الجيش الألماني. كنت أنا والتميمي، جابوا معنا العرب الذين يدرسون في ألمانيا. كان في واحد اسمه محمود الرفاعي من سوريا مهندس، وكان في ضياء الجندي وكم واحد نسيت أسماءهم.

ثم أحضروا الأسرى العرب ممن كان الألمان قد أسروهم من الجيش الانجليزي. لكن في البداية شاوروهم إذا كانوا يحبون أن يتدربوا ويرجعوا للدفاع عن بلادهم، الذين قبلوا أحضروهم إلى المعسكر. [٣٧]

في المعسكر عينوا لنا ضابطا كان في الحرب العظمى الأولى في فلسطين، في حرب غزة، رتبته تاج ونجمتان، لكن قديم، واثنين شاويشية من المستعمرات الألمانية وكانوا في فلسطين (حيفا ويافا)، ويعرفون العربية تمام وصاروا معلمين، هؤلاء خصصوا لنا للتدريب. بعدها قالوا روحوا استلموا البدلات. هناك مستودع في عمارة كبيرة قريبة وفيها رئيس المستودعات. عنده كتّاب وعنده عسكريين ، ميجور يعني رتبة عسكرية رائد، وعنده تحت إمرته ضباط تابعين له، أخذونا هناك لاستلام البدلات ، قام جماعتنا بدهم يمشوا مشي... أنا كنت في العراق قبل ما أروح لهناك وتدربت في الجيش العراقي حوالي شهر..

يعني عندي إلمام عسكري بسيط، قلت للعرب الذين سيستلمون بدلات التدريب: الألمان نظاميون ولا يحبون الفوضى... لازم نمشي بنظام.

قالوا: إن كنت تعرف تصفنا بنظام ، صفنا.

قلت لهم: صفوا اثنين اثنين. وأعطيتهم إيعاز: إلى الأمام سر.

أخذناهم إلى القلعة والضابط الذي سيصير ضابطا لنا كان واقفا هناك ، قدام القلعة. لما وصلنا بمحاذاته ، قلت لهم: إلى اليمين در. سلام خذ! وبعدين قلت: قف.

لما راحوا لاستلام البدلات. ناداني الضابط، كان أسمه (لوتي) وكان، يعرف أسمي.

قال لي: تعال

وسأل: أنت ضابط؟

قلت له: أنا جندي أنا لست ضابطا.

قال: لا أنت ضابط،

قلت له: لا أنا جندي وأريد أن أتعلم كجندي.

قال: طيب روح استلم البدلة.

ثاني يوم أو ثالث يوم جاء الشاويشان، عملوا منا فصيلين، واستلم كل شاويش فصيل.

جاء الضابط "لوتي" ناداني وقال لهم: هذا عنده إلمام عسكري وأريد منكم أن تدربوه مع الفصائل، لكن كل يوم يطلع هو يدرب الفصائل وأنتم تتفرجون عليه حوالي نص ساعة. وصار الضابط يتابع التدريب والتنشين وإصابة الهدف. نحن في الثورة كنا متعلمين على إصابة الهدف، الشيخ فرحان هداف ممتاز، ونحن أيضا تدربنا مع أبو العيون. آه بمسك سلاح منيح مش غشيم في السلاح، أدرب أحيانا... بعدما صرت أصيب الهدف على مسافة ١٢ مترا. قال الضابط: حطوا له شلن. كان ما يناديني إلا أبو الإبراهيم. صار يحمدني كثيراً قدام الفصائل" ...

نلاحظ من خلال متابعتنا لتجربة أبو إبراهيم في ألمانيا مدى حرصه على تحصيل العلوم العسكرية إلى حد رفضه عرض القائد الألماني اعتباره ضابطا وإلحاقه بمعسكر التدريب على هذا الأساس، وسبب إصرار أبو إبراهيم على كونه جنديا كي يتلقى التدريب العسكري من بداياته، ذلك أن أمر التدريب كان حاسما بالنسبة له منذ أن حدد اختياره في هذا الشأن مبكراً مع القسام ومع المدرب أبو العيون مرورا بدورة التدريب العسكري في العراق وصولا إلى المعسكر الألماني في اليونان.

يقول أبو إبراهيم في هذا المجال: "أنا سافرت إلى ألمانيا لكن ليس كلاجيء سياسي بل كعسكري، سافرت لأجل التدريب مع الجيش الألماني لأن قضيتنا ما انتهت، وحتى يكون لي خبرة قوية في الحرب ... يعني في النواحي العسكرية، وفعلاً تدربت في الجيش الألماني إلى أن حصلت على رتبة ملازم أول. يعني على أساس رتب ألمانيا كنت بنجمتين".

ويروي أبو إبراهيم صورة من التدريب القاسي في معسكر المغاوير الألماني:

" في النظام الألماني إذا واحد من الفصيل أخطأ يأخذون كل الفصيل للعقوبة ولكن العقوبة ليست بالضرب بل بالتدريب القاسي، مرّة واحد منا قصّر جابوا الفصيل للعقاب... طلع معنا الشاويشان والضابط والميجور واخذونا لأرض واطية وبدأ الإيعاز: أركض، انبطح، قم، نام، قف كل هذا ونحن حاملين سلاح، البندقية والفشك.... هلكنا. لكن أنا كان عندي الواحد منا لو يموت، ما لازم نخلي الألمان يستصغرونا.... لازم نثبت موجودية. بالحقيقة أنا تحملت كثيرا، لم أتلكك أو أتكاسل، يعني لما يعطي الإيعاز أطبقه: أُركُض- أركُض، نام- أنام، قوم- أقوم. في ناس صاروا يتلككوا ويتكاسلوا وما ينفذوا الأوامر. النتيجة أصدر القائد الألماني الأمر: كفى، وأعطى إيعاز للشاويشين بأن يرجع الفصيل المسافة كلها إلى المعسكر ماشيا.

وناداني، قال لي: نحن شفناك ! أنت أجهدت نفسك ولذلك ما راح نخليك تطلع مشي، اطلع معنا بالسيارة. النتيجة طلعت بالسيارة.

في الفصائل كان المتدربون متعلمين أكثر مني، منهم دكتور ومنهم مهندس، لما شافوني متفوق عليهم، لقوها صعبة! خاصة على المهندس محمود الرفاعي ، راح اشتكى للقائد بأن الضابط (لوتي) متحيز لأبو الإبراهيم، وهم دكاترة ومهندسين.

قلت للمهندس الرفاعي: أبو الإبراهيم! أبو الإبراهيم! يا عمي الألمان بحبون العرب، شرط يكونوا عسكريين.

القائد أرسل ضابطا للبحث في الشكوى وعما إذا كان لوتي متحيزاً لي.

الضابط صار يحضر التدريب ويراقب، ثاني يوم قام أعطانا درس نظري ، وبعد ما كتب الدرس النظري سأل: من يعرف الحل؟

رفعت إصبعي قمت أنا حليتها... بعدها أعلن لجميع الذين اشتكوا علي أو الموافقين على الشكوى ، قال لهم هذا الشخص نحن نعوِّل عليه كثير في حملتنا".

بعدها الخبر وصل للباشا الألماني، يعني باشا الحملة الألمانية كلها. وهذا الباشا أيضاً كان في بلاد العرب وقت الحرب العظمى الأولى ويعرف اللغة العربية قليلاً، كانوا مخططين دخول بلاد العرب، وأن يعطوا العرب بعد دخول البلاد الاستقلال. وصل خبرنا في المعسكر للباشا، فجاء للمعسكر واجتمع بضباط الجيش الألماني، جاءني الضابط اللوتي، وقال لي: الباشا يريد أن يراك، مشيت معه، لعند الباشا. اللوتي جاب كرسي وأجلسني على الطاولة التي يجلس عليها الباشا، أنا سلمت وقعدت. أراد الباشا أن يشرب كأسا: كاس أبو الإبراهيم.

قال لي اللوتي، وكان جالسا بجانبي: الباشا صب خمرا ليشرب كأسك.

قلت له: أنت تعرف نحن لا نشرب كلنا الخمر، لكن أنا سأشرب معكم كاسة شاي.

صبوا الشاي وحطوا قدامي كاسات الخمر هو رفع كاسه وأنا رفعت كاسة الشاي، لما شربوا شربت معهم، ما أنا لازم أجاريهم لأنهم بيشربوا كاسي أنا.

النتيجة قال الباشا: خلوا هذا أبو الإبراهيم أريده أن يكون معي في الحملة.

الباشا لم يكن يريدني مع الجيش بل أن أكون معه شخصياً.

وعن بعض ما حصله في فلسفة تدريب الجنود في ألمانيا يقول:

"كل جندي لازم يكون عنده مواصفات منها الشجاعة والإخلاص والطاعة للقائد وللقيادة، وأن يكون عنده علم بأشياء كثيرة منها التدريب الجيد على جميع الأسلحة ولازم تكون أعصابه متمرنة كلها ومتمرنة رجليه على المشي ومتمرن على الركض ومتمرن على العراك لا أحد يتغلب عليه، عنده إلمام في المصارعة وفي الملاكمة وعنده إلمام في مقاومة العدو حتى دون حمل سلاح حتى يقاوم ويقهر الخصم". يبدو ان أبو إبراهيم هنا يتحدث عن دورة مغاوير أو فدائيين متقدمة يقول: "نحن في المانيا تعلمنا في الجيش سنتين إضافة إلى دورة ثلاثة شهور تعلمنا فيها أيضاً كيف أن الفدائي لازم يتعلم أشياء كثيرة منها أن يعرف يركب خيل، في المانيا ركبنا وتمرنا على الخيل، وكيف نركبها عري، وبلا رسن، نحن كنا نعرف نركب خيل لكن عري قليل كان لازم نتمرن الركوب على الخيل بدون لجام وبدون رسن. وإن صادف وجد سيارة وبحاجة لها يكون يعرف يسوقها..... ويعرف أيضاً يشغل دبابة ويسوقها، وكيف يستعمل الأسلحة النارية كلها، والألغام لازم يكون خبير فيها، وأن يتقن تسلق الحبال والجدران والأسطح .. وفي المعسكر تعلمنا، كيف نزحف في السراديب، سراديب فيها ماء.. الجندي الفدائي ما لازم يقعد بتاتاً ، لازم يكون التدريب دايم، التدريب على السلاح أنواع السلاح، التدريب على الألغام ، تدريب على ركوب السيارات والآليات،

تدريب على ركوب الخيل / هذا كله الرياضة / تدريب على العراك الرجال مع بعضهم البعض مشان يخلص حاله، المصارعة منها المصارعة ومنها الملاكمة هذي منها أيضاً / لازم دايماً يتدرب، الجندي ما إله إلا التدريب لأنه لما بيقعد بيتعود على القعاد، بده يعمل رياضة في الأسبوع مرتين، الألمان كانوا يركضوننا مشاوير نركض ونحن نحمل سلاح وذخيرة، ونقوم بالهجوم ليس في أرض سهلة ، بل طلوع ونزول. ومرات نسبح أيضاً، إذا لزم قطع نهر أو غيره. الجندي حين يتدرب على كل هذه الأشياء تزداد ثقته بنفسه وتصبح عنده هيبة تخيف العدو وتضعف أعصابه".

تجربة خداع العدو من المانيا

"والجندي لا يستخدم القوة فقط في مواجهة العدو بل يستعمل ذكاءه لخداعه والانتصار عليه. وعن ذلك سأروي لكم حادثة حصلت مع دورية ألمانية في اليونان أيام الحرب، اصطدمت الدورية مع دورية الحلفاء، ودورية الحلفاء طوقت الدورية الألمانية وكادت تتغلب عليها. الدورية الألمانية ادعت بأنها جاءت لتتصل بقائد الحلفاء الموجود في ذلك المكان لتخبره بأن جيشه كله مطوق وإن لم يسلم سوف يهلك، وطلبوا من دورية الحلفاء إيصال هذه الرسالة إلى القائد، وصله الخبر، أرسل القائد وطلب مقابلة الدورية الألمانية، ولما قابلوه أخبروه إنه جيشه مطوق وإن لم يسرع في التسليم فسوف يقضى عليه هو وجنوده، فوافق القائد على التسليم وطلب من الدورية إبلاغ القيادة الألمانية أن الجيش مستعد للتسليم، وفعلاً سلم الجيش المعادي للجيش الألماني، وكان النصر للألمان بسبب حيلة هذه الدورية"....

التنافس بين المفتي والكيلاني

وعن العلاقة بين المفتي ورشيد عالي الكيلاني في ألمانيا يروي أبو إبراهيم الجانب المتصل به: "كان المفتي ورشيد عالي سياسيين، ولم يكونا بالطبع معنا في المعسكر، والاثنان تزاحما على الزعامة من منهم يأخذ العرب في ألمانيا إلى جانبه حتى تكون الزعامة له. واشتغل الاثنان على ذلك، رشيد عالي بعث لي كرت مع واحد ضابط.

قال لي الضابط: "قبل مجيئي إليك قال لي رشيد عالي إنه يعرفك ويقدرك، أكثر من المفتي"، وقال لي: "روح قول لأبو إبراهيم أنا أحب أن تكون صلته بنا، وكل ما يريد نحن حاضرون".

قلت له: نحن لنا قضية في فلسطين، والمفتي زعيم فلسطين وعلينا أن نحمي قضيتنا بوحدتنا نحن لا نقدر أن نختلف، لأننا إذا اختلفنا مع المفتي لا نقدر على خدمة قضيتنا.

رسول رشيد عالي، رجع اخبره بما قلت، والكيلاني زعل علي من هذا الجواب.

وقتها كان رشيد عالي متقدما في الشوط على المفتي بواسطة الباشا، وهذا الباشا هو قائد الحملة على بلادنا وهو الذي شرب كاسي في المعسكر وأرادني معه، وكان سبب هذه العلاقة بين الاثنين يعود إلى ثورة الكيلاني ضد الانجليز في العراق ، وكان الباشا الألماني آنذاك يتصل برشيد عالي ويقدم له الدعم لمحاربة الانجليز. يعني كان بين الباشا وبين رشيد علاقة ومعرفة قديمة، ولهذا رجحت كفة رشيد عالي، وصار الباشا مسئول الحملة يعطي رشيد المصاري وهو يوزع ويدفع معاشات للعرب الموجودين. يعني صار هو المنبع.

هذا الوضع أزعج المفتي، والمفتي كان عندنا إماما كبيرا، فماذا يفعل! خاصة والحملة قد اقترب موعدها؟

وبالفعل بدأ المفتي القيام باتصالات بالمنطقة لمعرفة أخبار الإنجليز والاستعداد للعمل،

حين سمع هملر رسالة المفتي من صفوت الحسيني ولاحظ اتصالاته أوصل الخبر لهتلر الذي طلب لقاء المفتي.

سأله هتلر: هل تستطيع جعل العرب الذين في الجيش الألماني يقاتلون معنا، وتبعث ناس يضربون الإنجليز من الخلف في بلاد العرب ؟

قال له: نعم نقدر.

قال له: إذا كنت تقدر على ذلك سنفتح لك جسرا للاتصالات وأمكنة للأسلحة وخزائن للمال ، وتأخذ ما تحتاجه".

عملية هانيبال

وأرسل المفتي أشخاصاً للعراق كاستخبارات على الانجليز، وأرسل في طائرة ألمانية لفلسطين واحد أسمه عبد اللطيف والثاني حسن سلامه وفيها ضباط ألمان ومعهم "وايليس" (جهاز إرسال) ومعهم أموال".[٣٩]

حين لاحظ الألمان كل ذلك قالوا للمفتي: اعملوا احتفال كي نعلن فيه الاستقلال وتكون أنت رئيس استقلال البلاد العربية كلها (مثلما قال الإنجليز للشريف حسين عام١٩١٤). وفعلاً أعطوا المفتي كل المواد اللازمة لإعلان حفل الاستقلال، وقتها لم يكن يتوفر في الأسواق أي شيء يؤكل، فوفّر الألمان لنا المواد اللازمة: طحين، سكر، لعمل كعك أو كيك، وفعلاً جرى الحفل، وأرسل له وزير الخارجية الألماني رسالة أعلن فيها استقلال البلاد العربية تحت زعامة المفتي، واخبروا الباشا الألماني قائد الحملة أن يتخلى عن رشيد عالي.

على الجبهة الروسية

أنا كنت حصّلت في الجيش الألماني رتبة ضابط بنجمتين، وكان الضابط اللوتي، بعد ما تدربنا أعطاني شريطة، ومن الشريطة رأساً لرتبة رئيس عرفاء، دون المرور برتبة شاويش ولا غيره، ومن رئيس عرفاء رأساً لضابط بنجمتين،على طول، وألحقونا بالجيش الألماني وسفّرونا إلى الجيش الموجود في روسيا.

بعد أن رجعنا لبرلين، ورأينا كيف صار الألمان يتراجعون على كل الجبهات، قلت لهم:

أنا دخلت في الجيش الألماني لأجل بلادي، وكانت خطة حملة الجيش الألماني الانطلاق من جنوب روسيا إلى العراق، ومنها احتلال بلاد العرب فيطردون الانجليز منها.. هكذا كانت خطتهم. والآن هذه المسألة انتهت.

قلت لهم لما عدت لبرلين ورأيت الألمان يتراجعون: أنا مهمتي انتهت الآن.. نحن كنا نقاتل من أجل بلادنا وليس من أجل ألمانيا، ولذلك أطلب أن تعفوني. وفعلاَ أعفوني.

وقتها كان معي باص (جواز سفر) فلسطيني فطلبت من الألمان أن أذهب لرؤية المعتمد السوري في برلين، لتأمين باص (جواز سفر) سوري يمكنني من الخروج من ألمانيا. في السفارة كتبت اسما مستعارا غير اسمي، وبأنني سوري الجنسية، أعطوني الباص،

إلى فرنسا

"من برلين غادرت ألمانيا إلى سويسرا، ومنها طلعت إلى باريس. المعتمد السوري في باريس كان أسمه عدنان الأتاسي، قريب هاشم الأتاسي الذي كان قبل ذلك ثم بعدها رئيسا للجمهورية السورية. كان السوريون آنذاك مختلفين مع الفرنسيين، ويطالبون بالاستقلال... لما رحت عالسفارة أعطيت الباص السوري لعدنان الأتاسي كي أسافر إلى سوريا. وكنت أتردد عند عدنان وأزوره تقريباً كل يوم.

في هذه الأثناء، واحد سوري من دار الشيخ كان يعرفني، لما شافني عند المعتمد قال له بعد ما طلعت من عنده: هل تعرف من هو هذا الرجل؟

قال له المعتمد: آه هذا سوري.

قال له: لا، هذا فلسطيني، وكان يتردد على الهيئة العربية في الشام، وكانوا يحترمونه كثيرا، ويقولون عنه إنه قائد الثورة.

فانتبه عدنان، حين زرته ثاني يوم، ما قام. قعدت وأنا ساكت. بعد قليل رفع رأسه وقال لي: لم لم تقل لي الحقيقة؟ لما لا تقول إنك فلسطيني وكنت في الثورة بل كنت رئيسها؟

قلت له: أنا سوري وكنت في فلسطين. وأنا عربي ولا فرق عندي بين فلسطيني وسوري، صارت الثورة في فلسطين واشتركت فيها والآن نحن على خلاف مع الفرنسيين وأنا مستعجل أريد العودة كي أشارك في الثورة. عدنان الأتاسي كان وطنيا ولكنه خائف قال لي: أنت الآن ممنوع من السفر لكن أنا سأعطيك ليسيه باسيه (جواز سفر مؤقت) على مسئوليتي ولو فصلت من الوظيفة. وفعلاً أخذ الباص وأعطاني ليسيه باسيه .

ولأن السوريين كانوا مختلفين مع الفرنسيين في ذلك الوقت رفضوا تأمين باخرة لنا ثم أعطونا واحدة هبيانة (تالفة)، لما أبحرت الباخرة والموج صار يلطم فيها فختها (شقها)، لما انفختت صارت تعبي مي، ساعتها رجعت الباخرة وصبوها شمينتو (اسمنت) ومشيت... ارتفع الموج كثيرا وهاج البحر لكن الله ستر. مررنا بميناء تونس ولكن بقينا على الشاطئ وبعدها واصلنا السفر إلى لبنان.

الفصل الحادي عشر

مرحلة جيش الإنقاذ

في ميناء بيروت

وصلنا من ألمانيا إلى بيروت بالباخرة، وجدنا في الميناء مندوبين عن الانجليز والفرنسيين والأميركان، من كل دولة في واحد قاعد على كرسي وراء طاولة صغيرة ويسأل المسافرين، والمسافر بعد أن ينتهي من واحد ينتقل للثاني.

وصلت عند الفرنسي سألني كم سؤال ونجوت منه ... رحت عند الأميركاني سألني وأعطاني الباص. رحت عند الإنجليزي... كان ابن عرب لكن معيّن من قِبَل الانجليز، وكأنه دارس علم نفس ، ينظر في وجوه الناس، كي يكتشف من خائف! ومن مذنب.... وصلت عنده سألني، أين كنت؟

قلت له: في برلين.

قال: لماذا رحت على برلين؟

قلت له: والله كان في عندي قرحة في المعدة، والجيوب معملة ، والجيبة معملة... ودخت على الحكماء في بلاد العرب ما في حدا طلع بإيده يعالجني، وكلهم شاروا علي بأن هذه الحالة يمكن معالجتها فقط في ألمانيا، وأنا رحت على ألمانيا وعالجتها.

قال: طيب ولماذا رجعت ؟

قلت: صارت الحرب وصار ممنوع التجول في برلين.

قال: طيب ومن أين كنت تأكل وتشرب؟

قلت له: في المستشفى التي تعالجت فيه كنت أقشر بطاطا وبصل وأخدم في المستشفى

وبالمقابل يطعموني.

قال: هذا الكلام غير صحيح...

قلت: طيب! وأنا ماذا أفعل..؟ هذا الذي صار.

فحولني على الضابط الانجليزي الذي يحقق مع المشبوهين، رحت لعنده وتظاهرت بأنني أتقدم بشكوى ضد مندوبهم العربي قلت له: أنا مريض وغايب من زمان عن عائلتي وكنت أتعالج وأنا تعبان وغير قادر أثبت حالي، وهذا الضابط يقدّم الناس علي، وأنا قبل كل هؤلاء الناس لماذا يقدمهم علي؟ الضابط الانجليزي أشر للضابط العربي أن يعطيني دوري فظن أن يعطيني الباص، ذهبت إليه تناول الباص وأعطاني إياه.

النتيجة أخذت الباص وحملت الشنطتين وما صدقت كيف وصلت دار أخوي هناك في بيروت. ظليت في بيروت ثمانية أشهر تقريباً، لكن لم يستطع أحد التعرف عليّ ، لأن الناس كانوا يعرفونني لما كنت مربّي لحية وألبس اللباس العربي، ولما رجعت كنت حالق ولابس فرنجي، لأني في الجيش الالماني ما كان يسمح لي أن أربي لحيتي.

لما أعلن الاستقلال في سوريا في ١٧ نيسان ١٩٤٦، سافرت من بيروت إلى الشام... وبعثت لعيلتي في القدس، فحضرت وسكنا في دمشق".

في دمشق بدأت مرحلة جديدة، حيث باشر أبو إبراهيم التحرك كي يعيد الثورة للمرة الثانية، فمن أجل ذلك سافر إلى ألمانيا وتدرب عسكريا، ومن أجل ذلك رجع إلى سوريا المستقلة كي تكون قاعدة الثورة ونقطة انطلاقها نحو فلسطين.. فأجرى، كما سنرى، اتصالا بالشيخ تقي الدين النبهاني، ربما في محاولة كي يستعيد من خلاله صورة الشيخ عز الدين القسام، لكن المحاولة فشلت.. وبدأ العرب مرحلة جيش الإنقاذ وفوزي القاوقجي.. فكان أبو إبراهيم من أوائل قيادات هذا الجيش في مناطق الجليل الفلسطيني.

قبل الإعلان عن تشكيل جيش الإنقاذ في ١ يناير ١٩٤٨ بقيادة فوزي القاوقجي كان أبو إبراهيم، بما اكتسبه من خبرات ومعارف عسكرية في فلسطين والعراق وألمانيا، قد ابتدأ منذ عودته إلى سوريا عدة تحركات واتصالات لإعادة انطلاقة الثورة الفلسطينية المسلحة من جديد، يروي في مذكراته:

الشيخ النبهاني

"ونحن في سوريا بدأت محاولات واتصالات كي نعيد الثورة ثاني مرة. وكان من جملة الذين راجعتهم الشيخ تقي الدين النبهاني.[٤٠]

كان وقتها في الشام، عملت له عزومة بسيطة ودعوته، كان معه واحد من جماعته، مفتي يعلّم في الشام.

قلت له: نحن اشتغلنا في الثورة عن طريق قائدنا القسام، والقسام شيخ عالم أزهري وأنت شيخ عالم أزهري. القسام استشهد في المعركة ونحن نطلب منك أن تقود حركة الثورة بدل القسام ونحن رجالك.

قال لي الشيخ النبهان: يا أبو إبراهيم الثورة تحتاج سلاحا وتحتاج مالا.

النبهاني لم يقبل ولو قبل كنا عملنا معا.

الجمعية (التنفيذية)

"كانت المحاولة مع النبهاني من جملة المحاولات كي ننظم أحوالنا لنبدأ الثورة من جديد، ومن هذه المحاولات أننا بعد أن عدنا إلى الشام عملنا على تأسيس جمعية يمكن كان اسمها الجمعية التنفيذية لا أتذكر جيدا، كان فيها راشد الزهري، ومحامي من بيت السكسك وكان فيها المفتي المدرس الذي جاء مع النبهاني، ومحمد نمر المصري، كان وقتها مدير مدرسة، والمفتي الحاج أمين الحسيني بعث واحدا من عنده، من بيت الخالدي.

أخذنا ترخيص من وزارة الداخلية السورية وعملنا تحت ستار خدمة اللاجئين أو الدفاع عن اللاجئين وظلت الجمعية مستمرة لفترة، ثم انتهت بسبب الخلافات..فمنهم من اتهمنا بأننا نريد من هذه الجمعية عمل ثورة، وهم كانوا يخافون ذلك".

مع جيش الإنقاذ

"بعد ذلك وأثناء وجودنا في الشام اتفقت الدول العربية مع الهيئة العربية على تشكيل جيش الإنقاذ. وأن يختاروا من الدول العربية مندوبين يؤلفون منهم اللجنة العسكرية في الشام، وهذه اللجنة هي التي تؤلف جيش الإنقاذ وتختار له القيادات، وكانت اللجنة العسكرية مؤلفة من طه باشا الهاشمي من العراق (الذي تولى القيادة العامّة وأسندت إليه مهمّة التدريب والتنظيم.) واللواء الركن صفوت باشا من العراق كذلك ويساعده العقيد محمود الهندي من سوريا (للإدارة)، وفوزي القاوقجي من طرابلس لبنان، وكان من فلسطين المحامي صبحي الخضرا، من صفد. واللجنة العسكرية اختارت الضباط الذين سيتولون قيادة جيش الإنقاذ".

[٤١]

أعلن عن تشكيل جيش الإنقاذ في ١٩٤٨/١/١، ولكن إلى جانب ذلك وبالتوازي معه كان قد تم قبيل أسبوع أي في ١٩٤٧/١٢/٢٥ تأسيس قوات الجهاد المقدس في فلسطين بقيادة عبد القادر الحسيني، وباتصال مباشر بالمفتي الحسيني، وبما يشبه السباق بين الطرفين.

وعن ذلك يقول أبو إبراهيم الكبير:

"بعد ما رجع المفتي من ألمانيا إلى عاليه في لبنان، وبدأ العرب بتأسيس جيش الإنقاذ، جاء عبد القادر إلى عاليه واجتمع مع المفتي هناك واتفقا على أن يعمل مع جيش الإنقاذ ولكن دون أن يكون مرتبطا باللجنة العسكرية، أي يعمل منفرداً. وذهب عبد القادر وشكل جماعة قوات الجهاد المقدس هناك، الناس التفوا حوله وبدأ في عمليات هجومية على مواقع

العدو في المنطقة، والاشتباك مع اليهود في نواحي القدس. عبد القادر لما بدأ العمليات والاشتباك مع اليهود صار عنده صرف كثير للذخيرة.. خلصت الذخيرة، ترك الميدان، وذهب إلى الشام، ليطلب ذخيرة من اللجنة العسكرية، ومن جيش الإنقاذ، ومن الحكومة السورية وأيضاً من الجيش السوري، ولكن لأنه لم يكن يخضع لأحد أو يرتبط بأحد حجبوا عنه الدعم المطلوب، ولم يعطوه شيئاً من الذخيرة، ورجع عبد القادر من الشام إلى فلسطين واستشهد في معركة القسطل، مما أضعفنا كثيرا.

في لواء الجليل

عن موقعه ودوره في جيش الإنقاذ يسجل أبو إبراهيم الكبير:

"اقترح فوزي القاوقجي على اللجنة العسكرية أن يسلمني لواء الجليل وأن أكون أنا معه، قال لهم: "إن أبو إبراهيم كان مسئول عن منطقة الجليل وهو يعرف الناس ويعرف الأرض والطرق"، فوافقوا معه.

بعد ذلك قال لي فوزي: "ادع جماعتك الذين سيكونون معك".

وعلى الفور بدأت بدعوة الناس. وكانت اللجنة قد خصصت لنا معسكرا في منطقة قطنة السورية القريبة من الحدود كي يتجمع فيها جيش الإنقاذ، ومن هناك يكون الانطلاق إلى فلسطين.. وفي هذه الأثناء جاء أديب الشيشكلي.[٤٢] وكان مع الجيش الفرنسي في سوريا قبل استقلال سوريا، ووصل مع الجيش الفرنسي إلى رتبة ضابط بنجمتين، ولكن حين استقلت سوريا لم يقبلوا أن يبقى أديب الشيشكلي في الجيش السوري، لأنه كان مع الجيش الفرنسي. لما علم الشيشكلي أنهم يعملون على تأسيس جيش الإنقاذ، وأنهم يريدون ضباطا لقيادة هذا الجيش، تقدم ليكون ضابطا فيه ممثلاً عن سوريا.. وقد اتفقت على ذلك اللجنة العسكرية واخبروا فوزي موافقتهم على تسليمه جيش الإنقاذ في لواء الجليل (لواء اليرموك الثاني).

وأوكلوا له قيادة أول فوج يدخل فلسطين.

جاءني فوزي القاوقجي وقال لي: "إن اللجنة العسكرية أبلغتني بأنها اتفقت مع أديب الشيشكلي أن يكون هو ضابط جيش الإنقاذ الأول في لواء الجليل"، اللجنة العسكرية قالت لفوزي انه هذا سوري، وفي المعسكر السوري، والسلاح سوري، خليه هو يستلم القيادة. فوزي القاوقجي ما خالفهم، جاءني وقال لي هذا سوري ومعه كثير من السوريين من حماه وهو حموي الأصل، وأنا سأكون معك ومع الشيشكلي، كي يستفيد من خبرتك. قلت له إذا كان الشيشكلي مخلصا فأنا ما عندي مانع، ثم تقابلت بواسطة فوزي مع أديب الشيشكلي، واتفقنا في الاجتماع على أن نتعاون معا، وتباحثنا في كيف يستفيد الشيشكلي من خبرتي ومعرفتي للمناطق".

وهكذا بدأ التجنيد في صفوف جيش الإنقاذ في بداية عام ١٩٤٨ وانخرط في صفوف هذا الجيش فئات مختلفة من الضباط والجنود السابقين والطلاب والموظفين والعمال والفلاحين،

أما الشيشكلي فيصف أبو إبراهيم مساهمته العسكرية كما يلي:

"أحضر الشيشكلي معه إلى معسكر قطنا كثير من الناس السوريين غير المدربين، وكأنه كان يجمعهم من الشوارع، وكان منهم العتالة والبويجية، وخطب فيهم "نحن نريد تحرير فلسطين من اليهود أولاد الميتة"، الناس في السابق سمعوا عن اليهود إنهم أذلاء وجبناء، وحضر مع الشيشكلي غير هؤلاء سياسيون منهم أكرم الحوراني وخليل الكلاس الذي صار بعد ذلك وزيرا. وحضر ضباط منهم أخوه صلاح والضابط الأتاسي، وكلاهما برتبة نجمتين وتاج، وكل واحد معه فصيل، وأنا كنت، على أساس رتبتي في ألمانيا، بنجمتين اللجنة العسكرية زادت لي نجمة ثالثة، صرت بثلاث نجوم، لكن صلاح والأتاسي أعلى،

نجمتان وتاج. وكنا أول فوج من جيش الإنقاذ دخل فلسطين، وكان قائده أديب الشيشكلي ومعاونه إسماعيل الخوري.

ولكن قبل أن ندخل فلسطين لم يعجبني الحال! فقد جاء الشيشكلي وأخوه صلاح وأكرم الحوراني والضابط الأتاسي وخليل الكلاس إلى معسكر قطنا وعملوا حفلة سكر... جلبوا خمرة وكنت أجلس معهم، دعوني كي أشرب خمرة، أنا رفضت، وقلت لهم: أنا لا أشرب الخمر.

أنا لم أكن مرتاحاً من هذه الوضعية قلت لهم: "بدنا نطلع على الجهاد ونشرب خمر مش مزبوطة".. على كل حال هم شربوا وحدهم!

خرجنا مع جيش الإنقاذ الأول، من الشام عن طريق لبنان ودخلنا فلسطين، وكانت اللجنة العسكرية أوصتنا بأن نتجنب الاشتباك مع الإنجليز.

بعد خروجنا من سوريا ودخولنا لواء الجليل ، قعدنا أسابيع ما تعرضنا لأحد، لا يهود ولا إنجليز.. نتنقل من مكان إلى مكان. قلت لهم أنا أعرف المنطقة وأعرف أهلها، فإذا نحن بقينا نتجول دون أن نهاجم اليهود الناس سيملّون منا ويشكّون فينا. لذلك علينا القضاء على الكوبانيات الضعيفة واحتلال اللواء والتمركز فيه، ومن هناك يكون الانطلاق من لواء الجليل إلى المناطق الأخرى لمهاجمة المواقع اليهودية. فإذا وافقتم معي دعونا نبدأ الهجوم على الكوبانيات واحدة واحدة، فاتفقوا معي على هذا الرأي، وطلبوا مني أن أرشدهم على الكوبانيات التي سنبدأ بمهاجمتها، أخذتهم إلى مستعمرة بين طبريا وصفد ، قرب مكان اسمه "جب يوسف". كانت كوبانية ضعيفة وسكانها يسكنون البراكيات ويربون الأبقار الحلابة، ولكن لأن المستعمرة قريبة على طريق طبريا وصفد فمن الممكن إذا حصل الهجوم أن يقوم الجيش الانجليزي بنجدة الكوبانية، ونحن حسب التعليمات لا نريد الاصطدام مع الانجليز، فطلبوا أرشادهم إلى كوبانية غيرها.

معركة قلعة جدين (١٩٤٨/١/٢١)

في اليوم الثاني أخذتهم إلى مستعمرة قرب عكا وهذه أيضا مستعمرة ما فيها بناء حجر، كلها براكيات، إنما يوجد جنب المستعمرة قلعة قديمة اسمها قلعة جدين، حصينة ولكن ليست مسكونة. لما وصلنا المستعمرة طلعنا على تل قريب مشرف على المستعمرة وكاشفها، وافقوا على مهاجمتها. بعدها رجعنا لعمل الخطة. كنا وقتها في قرية جبلية درزية اسمها (حرفيش)، هناك اتفقنا على الخطة ولكن من سيهاجم الكوبانية؟!. كان الشيشكلي رقّى أخاه صلاح بنجمتين والأتاسي بنجمتين وأنا بنجمة، ولما سألت من يهاجم؟ صاروا يتطلعون علي، فقلت لهم إذا أردتم أن أهاجمها فأنا مستعد، فاتفقوا على أن أهاجمها، لكن على أساس أن بقية الجيش سيكون على التل المشرف على المستعمرة ليكون خط رجعة لنا، وخصصوا لي عند بدء الهجوم ثلاثة فصائل: واحد فلسطيني شرقي قلعة جدين... وفصيلين من المغرب (معتمر) بين الكبانية وبين القلعة، على أن يلحقنا الجيش لاستكمال الهجوم ويكون بقيادة الشيشكلي. نحن تحركنا وبتنا هناك كي نبدأ الهجوم فجراً لكن الشيشكلي وجيشه لم يصل.

جمعت الضباط والقيادات واستشرتهم: نحن هذه الليلة كان المفروض يكون القائد معنا ، ولكنه إلى الآن لم يحضر، ما رأيكم؟ نهاجم أم نؤجل ؟

قالوا: الرأي لك.

قلت: أنا رأيي نهاجم لأننا إذا لم نهاجم اليوم سيكتشفنا اليهود ويتحصنون في القلعة، لذلك سنهاجم.

بدأنا الهجوم بفصيلين على المنطقة بين القلعة والكوبانية، حتى لا يطلع الحراس اليهود على القلعة لحماية الكوبانية من الهجوم، على أن يقوم فصيل يضرب الكبانية من جهة الشرق، وباقي القوة التي ستلحق بنا تهجم على الكبانية من جهة الغرب فتقع الكبانية بين

فكين بدون أن يكون هناك نجدة.

وكان هناك كذلك مجموعة صغيرة تبدأ مهمتها عندما يبدأ الهجوم، بنسف جسر على الطريق المؤدي للكوبانية، لمنع وصول النجدات الإنجليزية لها من عكا.

وبدأت العملية. وصل الفصيل المكلف بمهاجمة الكوبانية، وبدأ بإطلاق النار، لكن الفصيلين المكلفين بعزل الكوبانية عن القلعة لم يصلا في الوقت المناسب، فطلع القناصة اليهود على القلعة. وحين حاول الفصيلان التحرك بين الكوبانيه والقلعة لم يستطيعا بسبب نيران القناصة اليهود الذين تحصنوا في القلعة.. لكن المجموعة المكلفة بنسف الجسر، كي لا يصل عبره الجيش الإنجليزي قامت بمهمتها بتدمير الجسر، كما دمرت سيارة وقتلت من فيها، واستولت على ما فيها من الأسلحة.الفصيل الذي بدأ الهجوم على الكوبانية منع من التقدم فاكتفي بالدفاع عن نفسه وبتبادل النيران مع المتحصنين في القلعة.

في هذه الأثناء وصل الشيشكلي وجماعته من طريق ترشيحا/عكا، ولم يتقدموا كما اتفقنا من منطقة الانطلاق الخلفية لمساندة الهجوم، وعلى هذه الطريق وصل من عكا الجيش الانجليزي، لما شاف الشيشكلي وجماعته الجيش الانجليزي أخذ ينادي: انسحاب ...انسحاب.

وقتها أنا كنت عند نقطة الانطلاق، فنزلت، خفت على الفصيل من الخطر إذا انسحب تحت نار الحضائر اليهودية في القلعة.. فكرت أسحبهم من طريق أسلم. وجدت الفصيل.. واستطاع أن يمر دون أن يراه الحراس اليهود. وكان مع الفصيل هاون، ضربوا قنبلة أصابت واحد بيشتغل على الرشاش فقتلته، ثم انسحب الشيشكلي وجماعته. والفصائل انسحبت... لكن تحت نار اليهود. الذين انسحبوا من الجنوب نفدوا، لكن الذين بدأوا الانسحاب من الشمال اكتشفهم اليهود من القلعة، وسلطوا نارهم عليهم، فأصابوا ثلاثة عشر واحدا.[٤٣]

رجعنا إلى ترشيحا.. ومن هناك أخذنا باص وأرسلنا الجرحى إلى سوريا للعلاج.

الخلاف مع الشيشكلي

العملية فشلت وفوق فشلنا أصيب ثلاثة عشر، وهذا ليس بقليل بالنسبة لفصيل. ما قدرت أتحمل، رحت على القيادة، كنت غاضبا ومعي مسدس، لحقني حسين، واحد من جماعتي، كي أرجع، خاف ممكن أعمل شيء، ظل معي. في مركز القيادة حاول حارس يوقفني، لم أرد عليه دخلت عليهم.

قال الضابط الأتاسي لما شاف عليّ الزعل: يا ساتر يا أبو إبراهيم! ولا حتى بتسلم علينا.

قلت له: على مين أسلم ؟ منتصرين اسلم عليكم؟ انتم سبب الفشل، الشيشكلي سبب الفشل.

لما شافوا المسألة حامية سكتوا كلهم ولا كلمة. لم يرد أحد منهم أبداً. وأنا لما شفتهم سكتوا قلت لنفسي ما في داعي أكبرها ورجعت على موقعي.

بعدها (وبأمر من الشيشكلي) كتبوا برقية للجنة العسكرية في دمشق قالوا فيها "أبو إبراهيم تهجم علينا وأمرنا بأن نخرج من منطقته ونتركها له"!!. هذا الحكي ما صار، كذبوا.

اللجنة بعثت لي أن أتوجه إلى دمشق لم أكن أعلم شيئاً عن تقرير الشيشكلي، وتخيلت أن اللجنة بعثت لي لأنني كنت متفقا معها بأننا بعد دخولنا فلسطين فإن الناس سيلتحقون بنا وسيحتاجون سلاحا. هذا كان اتفاقي معهم في الشام فلما اخبروني بالسفر إلى دمشق اعتقدت أن هذا هو سبب الاستدعاء، ولم اعتقد أن هناك شكوى ضدي.

لما استدعوني للشام رحت، طلبوا مني تقريرا بما حدث، عملت التقرير، وبرهنت إنهم

افتروا علي، وثبت في التقرير للجنة العسكرية أن الحق على الشيشكلي. وبعدما حكيت للجنة كل ما حدث، قالوا: يا أخ أبو إبراهيم أنت ما عليك شيء.

بعد هذه الحادثة قالت لي اللجنة العسكرية إن فوزي القاوقجي سيقود قسما من جيش الإنقاذ نواحي نابلس في الجنوب، وفوزي القاوقجي كان له في الشام مكتب وشخص مسئول عن توزيع الذخيرة على جيش الإنقاذ في مختلف المناطق. ونريد في الوقت الحاضر تسليمك المكتب وتوزيع الذخيرة. أنا اعترضت، وقلت لهم: أنا لا أقعد في الشام في مكتب! والثورة مشتعلة في بلادي، يجب أن أكون مشتركا في المعارك. قالوا: لا يوجد غيرك ليوزع الذخيرة.. تبقى مؤقتا وبعدها تذهب إلى الجبهة. بقيت وتوليت توزيع الذخيرة على المناطق: تحميل السيارات الكبيرة سلاح وذخيرة من الشام وتوزيعها على المناطق، كل المناطق اللي كان يشغلها جيش الإنقاذ، منها مناطق فوزي القاوقجي في قضاء نابلس، ومنها مناطق الشيشكلي في الشمال في الجليل.

في أحد الأيام قالت لي اللجنة العسكرية: حامية طبريا نفدت ذخيرتها والبلد مطوقة من اليهود ونريد أن نوصل لها الذخيرة والسلاح، هل يمكنك توصيلها؟

قلت: نعم ممكن،

استلمت السلاح والذخيرة وكان معي الذين جاءوا من طبريا لطلب الإمداد من اللجنة العسكرية، وتحركنا ونحن نرصد الطرق نحو طبريا فاخترنا طريقا غير معبدة وغير صالحة للسيارات تماماً ولكننا بعد أن درسناها وجدنا أننا نستطيع من خلالها أن نوصل الإمداد للحامية. لما اقتربنا من طبريا، وسرنا بين الكوبانيات اشتبه اليهود بالسيارات التي معنا وأطلقوا عليها النار، أسرعت السيارات لتفادي الرصاص فانزلقت واحدة، قلبت وفيها الذخيرة، نزلنا ونقلنا الذخيرة منها إلى السيارات الثانية وتابعنا السفر إلى أن وصلنا طبريا

وسلمنا الذخيرة لقائد الحامية، وأخذنا منه توقيع بالاستلام ، والذين جاءوا معي من أهالي طبريا بقوا فيها، وأنا رجعت إلى الشام، وفي الطريق نجوت من الموت بأعجوبة طبعاً...

في دمشق قال لي طه باشا: كيف شفت طبريا؟

قلت له: طبريا وضعها صعب، مطوقة وتحتاج عناية ودعم أكثر كي تصمد،

قال: ماذا تحتاج؟

قلت له: ذخيرة وأسلحة..خاصة الرشاشات الثقيلة والمدفعية.

قال: هل تقدر أنت تروح وتحمي طبريا من اليهود ؟

قلت له: نعم إذا وفرتم لي السلاح الذي أطلبه.

قال: طيب لما يصير لدينا هذا السلاح سنعطيك. أما الآن فهذا النوع من السلاح غير موجود.

قلت له: أنا في الشام ما بظل، أريد أن أدخل بلدي وأقاتل.

قال: خليك الآن وزع ذخائر أحسن.

قلت له: أنا رايح عالبيت ولما بتوافقوا إني أطلع أشترك في المعارك بتبعثوا لي خبر. وروحت على البيت، بعثوا لي عسكري من جيش الإنقاذ على البيت ما رديت".

بعد ذلك تدهورت الأمور بسرعة يلخصها أبو إبراهيم كما يلي:

"صارت الجبهات كلها تصرخ، ومن الجملة فوزي أيضاً انسحب بعد معركة مشمار هاعمك،[٤٤] (وقتها لما انسحب من الكوبانيه اليهود فلتوا الميه عليه وصارت قواته تغوص في الوحل، ولم يتمكنوا من القيام بالتحركات العسكرية وصاروا اليهود يطلقون النار عليهم وتغلبوا عليهم، وكما خسر القاوقجي خسر الشيشكلي ورجع، ظل يتراجع.... يتراجع ها حتى دخل سوريا ومعه الجماعة التي بقيت معه. دخلوا سوريا عملوا له تفويض، وصار

رئيسا للجمهورية. بعدما انهزم في فلسطين صار رئيس جمهورية!.

بعد ما صار أديب الشيشكلي رئيسا للجمهورية، بدأ الذين يريدون إرضاء الشيشكلي يوجهون لي التهم بواسطة البوليس، ومن الجملة وجهوا لي تهمة إلقاء قنبلة على السفارة الأميركية في الشام، كما وجهوا لي تهمة إطلاق النار على الجاسوس الانجليزي السير ستف Stuff ، وأوقفوني مدة رهن التحقيق. وعينوا لي موعدا للمحاكمة، لكن المحكمة لم تخدع بهذه التهم واقتنعت ببراءتي، وكان معي المحامي حنا صبحي، وبعد أن صدر الحكم بالبراءة وجدت أنه ما عاد بإمكاني القيام بنشاط، من أجل إعادة الثورة من سوريا فذهبت إلى الأردن.

أما أديب الشبشكلي فبقي رئيسا للجمهورية إلى أن قام ضباط آخرون وعزلوه عن الرئاسة، وسافر إلى البرازيل.. فأرسل الدروز اثنين منهم لاغتياله، وبينما كان هناك في أحد المقاهي يشرب القهوة، أطلقوا النار عليه وقتلوه. كان الدروز قد قاموا بمظاهرة ضده فأرسل الطائرات وضرب جبل الدروز وأنزل فيهم خسائر كثيرة".

محاولات لانطلاقة الثورة من الأردن

في عمان التقيت بكثير من القسّاميين، منهم الشيخ سليمان.. فاتفقت معه، كما اتفقت مع صالح في رام الله، ومع قسامي ثالث في نابلس. وبالتعاون بيننا نحن الثلاثة ألفنا جماعة للقيام بهجمات متوالية على اليهود كفدائيين، كان ذلك سنة ١٩٥٥، واستمر هذا العمل إلى أن جاء الفدائيون من مصر، وصاروا يهاجمون المستعمرات.. فوقفت حركتنا واشتعلت حركتهم". [٤٥]

الفصل الثاني عشر

قادة ومجاهدون

هذه الانجازات التي تابعنا جوانب منها على مدى سنوات الثورة إنما تحققت ببطولات وتضحيات الكثيرين، وخاصة من القساميين، وقد رغب القائمون على هذا الحوار الطويل في بغداد أن يقدم أبو إبراهيم الكبير ما يشبه الخلاصات السريعة عن رفاق مسيرته الطويلة.. فكان أن استحضرت ذاكرة أبو إبراهيم أسماء ومصائر بعضها، حتى تاريخ تسجيل هذه المذكرات في نيسان من عام ١٩٧٧، ومن هؤلاء:

"الشيخ فرحان السعدي،[٤٦]، اشترك مع الشيخ عز الدين في ثورة ١٩٣٥ وفي معركة يعبد، وكان من أوائل الذين اشتركوا في الهجوم على الكوبانيات في مرج إبن عامر. ولما أعلنت الثورة عام ١٩٣٦ تولى قضاء جنين، وكان من أكثر القساميين جرأة وإخلاصاً.

الشيخ عطيه أحمد،[٤٧] أول من دخلوا الجمعية السرية، وكان يشتغل في سكة الحديد في حيفا، وعندما اشتعلت الثورة تولى قيادة فصيل في الكرمل في ضواحي بلد الشيخ ثم انتقل إلى أم الزينات، مشاريق الكرمل، وعندما اختلفوا على إشغال لواء الجليل بقي هو في لواء جنين يقود الثورة. واستشهد في معركة من المعارك اللي حصلت مع الجيش الانجليزي في قضاء جنين.

يوسف أبو درة كان مع الشيخ القسام في معركة يعبد ١٩٣٥ وبعدها اشترك في الثورة وتولى جمع الأسلحة والذخيرة من شرق الأردن، وإثر استشهاد الشيخ عطية تولى هو قيادة الثورة في قضاء جنين، ولما زعل من عبد القادر الحسيني لجأ إلى الأردن، بعدها أولاد مصطفى رحمة أقاموا عليه دعوى وسلمه الملك عبد الله للانجليز وحكموه إعدام وشنقوه،

الشيخ أبو إبراهيم الصغير من أندور قضاء الناصرة، شارك في عمليات مهمة، كان

عنده جماعة من أقاربه ومن أصحابه هناك في اندور ، وكان يهاجم الكوبانيات القريبة منهم، ويعمل كمائن للجيش الانجليزي الذي يتنقل في قضاء الناصرة، مات موت طبيعي من ثلاث أربع سنين في إربد.

عبد الغني درويش، من عصيرة، كانت أصابته صلية رصاص في معركة عرابة البطوف، وهو من فصيل القيادة استشهد بعد فترة،

أبو وجيه (شقيق عبد الغني درويش) كان معنا في لواء الجليل وشارك في الهجوم على الكوبانيات وعلى المواقع الانجليزية. ولا يزال موجوداً في بغداد.

الشيخ نايف موفق الصفوري، من فصيل القيادة، أصيب إلى جانبي أيضاً في معركة عرابة البطوف، لكنه شفي، نايف المصلح هذا رجل طيب، اشتغل معنا في الثورة من فصيل القيادة، وقبل ما يطلع على الجبل كان من فصائل الداخل ومختص في الرد على الاعتداءات اليهودية، وهو لا يزال حيا وموجودا في الشام.

الشيخ أبو عثمان من صفورية، كان رجلا جريئاً ومستقيماً، اشتبك في معركة مع الجيش الانجليزي واستشهد.

الشيخ رشيد عبد الشيخ، [٤٨] من أبناء الطيرة استشهد في ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩.

أحمد النوبي من صفورية من فصيل القيادة، اشترك تقريباً في كل أعمال الثورة وكان موجودا في الناصرة واشترك في حادث أندروز حاكم اللواء، كان من أوائل من دخلوا في الجمعية السرية ، لكن في القرى وليس في حيفا.ولا يزال النوبي موجودا في عمان في الأردن، كان في الشام وجاء من سنتين وعلمي به في عمان.

محمد أبو جاد من قباطية، وهو الذي اغتال الجنرال موفات، الحاكم البريطاني في لواء جنين كان في مكة من كم سنة، ويمكن رجع على قباطية، ومحمد العبد الله اشترك في حادثة

اغتيال حليم بسطة مع أبو خالد، كما اشترك في حادثة اغتيال حاكم اللواء في الناصرة وقام بأعمال كثيرة مهمة، ولا يزال حيا كما أعتقد.

الشيخ سعد البدوي من أندور قضاء الناصرة استشهد في معركة قرب الجرمق ودفن في قرية قريبة هناك اسمها سحمات.

محمود خضر، اشترك في الجمعية السرية من أول الأمر وقام بأعمال تحضيرية للثورة مثل جمع السلاح والذخيرة ونقله، وكان من فصيل القيادة، واستشهد في معركة مع الجيش الانجليزي قرب الرامة، طريق عكا/ صفد.

محمود شهاب مات في بلده موت طبيعي.

محمود سالم كساب [٤٩] كان في الجمعية السرية في القرى، ولما علم بأن خليل العديل شهد شهادة زور في قضية نحلان، وأغرى المتهم على شهادة الزور، ذهب وأطلق النار عليه وهو في بيته، ومات محمود سالم موت طبيعي في بلده.

عبد الله الشاعر من صفد مات موت طبيعي في الشام، وصالح الناصر من صفورية لا يزال حيا، زايد المصلح من صفورية ولا يزال موجودا في الشام.

أحمد عبد الله، كان هنا في بغداد، أصيب وهو في فلسطين في معركة، وتعطلت يده، وفي يوم غرق ولد في دجلة، نزل لينقذه، مع أن يده (عطيلة)، الولد مسك فيه.. غرق الاثنان سوا.

أبو عدنان من قضاء جنين كان في الجمعية السرية، تولى قضاء جنين، وشغل موقع شرق جنين، وفعلاً اشتغل بجد ونشاط، ثم بعد الثورة مات موت طبيعي.

الشيخ سليمان عبد الإله عبد القادر اشتغل في الداخل ثم اشترك في الثورة إلى النهاية، في قضاء رام الله، ولا يزال إلى الآن موجوداً في الشام.

محمد محمود الصفوري كان في الجمعية السرية، وبقي في حيفا واشتغل في الثورة، ولا يزال موجوداً في الشام.

العبد قاسم كان في الجمعية السرية قبل الثورة ثم اشتغل في الداخل وفي الهجوم على الكوبانيات، ثم مات موت طبيعي.

محمود زعرورة كان في الجمعية السرية من أولها، ثم اشترك بعد ما جمعنا السلاح في الهجوم على الكوبانيات مع العبد قاسم وبعدها مات في بيته في بيروت موت طبيعي،

صالح عثمان من الناصرة.

إبراهيم أبو ديه من الخليل، أصيب في إحدى المعارك وتعالج في الجامعة الأميركية في بيروت، وتحمل بصبر وقوة آلاما عظيمة، وتوفي بعد ذلك بفترة.

الشيخ عبد الفتاح داود الشبلي من أقاربنا في المزرعة، استشهد في حيفا، اصطدم هناك مع جاسوس، وتبادلوا إطلاق النار، قُتل الجاسوس واستشهد الشبلي بعد فترة.

وكانت أسماء كثير من المجاهدين قيادات وأعضاء قد وردت خلال المذكرات، وسها عن ذكرها في هذه الخلاصات أو سهى الذين أداروا الحوار عن سؤاله عنها، مثل حسن الباير[٥٠] وأحمد الغلاييني، [٥١] والقائد القسامي حسن سلامه[٥٢] الذي كان يقود منطقة الساحل، ومحمود اشتيوي الذي قاد منطقة وادي خالد وكان رئيس فصيل.

ومن القساميين شاب أسمه أحمد، قريب عبد الرحيم الحاج محمد (أبو كمال) ومن منطقته في الأساس، انتدبناه ليشغل المنطقة، بعد وفاته.

وهناك الشيخ نمر السعدي، وهو من شفا عمرو وابن عم فرحان السعدي.

وغير هؤلاء كثيرون لهم أعمال كبيرة واشتغلوا بجد وإخلاص وبجرأة، قساميين وغير قساميين".

محمد صالح الحمد (أبو خالد)

لاحظنا خلال متابعتنا لمذكرات أبو إبراهيم مدى الحضور اللافت للقائد أبو خالد (محمد صالح الحمد) ومدى التقدير العالي الذي يكنه له، يقول: "أبو خالد من أهالي سيلة الظهر وكان ساكنا في حيفا، بعد أن صار اليهود يعتدون على العرب بالسلاح.. صار يجتمع بالشباب ويدعوهم للقيام بالعمل ضد اليهود والاستعمار، وقد جاءت دعوة الشيخ عز الدين متفقة مع ما يريد، فتحمس لها، ودخل في الجمعية السرية التي ألفها الشيخ عز الدين، وبدأ يعمل بجد وإخلاص وشارك في شراء السلاح وفي توزيعه على الثورة، وفي معاقبة العملاء مثل حليم بسطة، ثم قاد الثورة في مشاريق نابلس، عمل على حل الخلافات داخل صفوف لثورة، كما فعل في دير غسانة، هو راجع من المؤتمر ربط له الجيش الانجليزي ووقعت المعركة التي استشهد فيها".

نوح إبراهيم

ويتذكر أبو إبراهيم الشاعر نوح إبراهيم ويستعيد بعض أهازيجه يقول: "ومن القساميين نوح إبراهيم،[٥٣] وهو شاعر شعبي، اشتهر بأهازيجه الشعبية الحماسية، في أحد الأيام كان نوح إبراهيم طالع على لواء الجليل، يمكن سنة ١٩٣٨ الجيش الإنجليزي ربط له على الميعاد، قرب سخنين، فاشتبك معهم واستشهد، كان شاعر شعبي معروف، وهو صاحب أهزوجة:

"دبرها يا مستر بيل   بلكي على إيدك تنحل"

ومستر بيل هذا هو رئيس اللجنة التي جاءت للبحث عن حل لمشكلة فلسطبن.

أنا كنت اسمع شعر نوح إبراهيم كان عنده شعر كثير وقصائد طويلة، لكن ما حافظ شيء من شعره، لكن منها موال يرثي فيه يوسف أبو درة بعد شنقه".[٥٤]

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع والمذكرات التي اعتمدنا عليها، لتدقيق وتصويب وتوثيق مذكرات أبو إبراهيم الكبير:

١. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية، بيروت، ط٨، ١٩٨١.

٢. الدكتور كامل خله، فلسطين والانتداب البريطاني، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٧٤.

٣. ناجي علوش، المقاومة العربية في فلسطين، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٧.

٤. عبد القادر ياسين، كفاح الشعب الفلسطيني، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٧٥.

٥. صالح بويصير، جهاد شعب فلسطين، دار الفتح، ط٤، ١٩٧١.

٦. عادل حسن غنيم، الحركة الوطنية الفلسطينية، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة، ١٩٧٤ .

٧. غسان كنفاني، ثورة ٣٦-٣٩، مجلة شؤون فلسطينية، العدد ٩، ١٩٧٢.

٨. صبحي ياسين، الثورة العربية الكبرى في فلسطين، دار النهار، القاهرة، د.ت.

٩. عيسى السفري: فلسطين العربية، منشورات صلاح الدين، القدس، ١٩٨١.

١٠. بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (١٩١٧-١٩٤٨) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨١.

١١. عجاج نويهض الحوت: رجال فلسطين من بداية القرن حتى عام ١٩٤٨م، بيروت، مطابع الكرمل، ١٩٨١.

١٢. علي حسين خلف، عز الدين القسام، دار الحوار، سوريا اللاذقية، ط٢، ١٩٨٦.

١٣. عوني جدوع العبيدي، "صفحات من حياة الحاج أمين الحسيني" مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ١٩٨٥.

١٤. عيسى خليل محسن، عبد القادر الحسيني، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٦.

١٥. الموسوعة الفلسطينية، إشراف أحمد المرعشلي، دمشق ، هيئة الموسوعة الفلسطينية. ١٩٩٠.

١٦. حسين عمر حمادة، محمد عزة دروزة، نشأته حياته مؤلفاته، الاتحاد العام للكتاب الفلسطينيين ودار قتيبة للنشر، دمشق، ط٢، ١٩٨٢.

١٧. محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، الجزء الأول، م.ت.ف. دائرة الإعلام والثقافة، ط ٣، دمشق،١٩٨٤.

المذكرات واليوميات

١٨. " مذكرات محمد عزة دروزة". خمسة وتسعون عاماً في الحياة (١٨٨٨ ـ ١٩٨٢) تشمل ٤٢٥٦ صفحة في ستة مجلدات. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤."

١٩. مذكرات عجاج نويهض ستون عاما مع القافلة العربية، إعداد بيان نويهض الحوت، دار الاستقلال، بيروت، ١٩٩٣. ص ٣٢٦.

٢٠. مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني، إعداد: عبد الكريم العمر، دار الأهالين دمشق، ١٩٩٩.

٢١. مذكرات رشيد الحاج إبراهيم (١٨٩١-١٩٥٣) الدفاع عن حيفا وقضية فلسطين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٠٥.

٢٢. يوميات أكرم زعيتر، الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٣٥-١٩٣٩) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٠

٢٣. مذكرات فوزي القاوقجي، تقديم وإعداد خيرية قاسمية، دار النمير، دمشق، ط٢، ١٩٩٥.

٢٤. ذو الكفل عبد اللطيف، مذكراتي: قصة كفاحي من الثورة الفلسطينية الكبرى إلى حرب ١٩٤٨.

٢٥. مذكرات المناضل بهجت أبو غربية، في خضم النضال العربي، ١٩١٦-١٩٤٩، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٣

أبحاث وحوارات

٢٦. حديث لأبي إبراهيم الكبير في مجلة الثورة الفلسطينية، كان قد أجراه ناجي علوش، العدد١٩، ١٩٦٩/٩/١٥.

٢٧. حسين عمر حمادة، جوانب من حياة الشيخ عز الدين القسام، مجلة وقائع فلسطينية، العدد الثاني، ١٩٨٦.

٢٨. نزيه أبو نضال، الثورة القسامية، مجلة وقائع فلسطينية، العدد الثاني، ١٩٨٦.

٢٩. إبراهيم الشيخ خليل، ذكريات عن القسام، مجلة شؤون فلسطينية، عدد١٧، آذار ١٩٧٢.

٣٠. عادل حسن غنيم، ثورة الشيخ عز الدين القسام، شؤون فلسطينية، العدد٦، كانون الثاني ١٩٧٢.

مواقع وكتب رقمية على الإنترنت

٣١. محمد نور الدين، كتاب يوميات الثورة الفلسطينية ١٩٣٦، موقع غزتنا في القلب.

٣٢. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الدائرة الثقافية المركزية، مقتطفات من: التاريخ الوطني الفلسطيني حتى عام ١٩٤٨، منتصف عام ٢٠٠٦.

٣٣. يوسف حجازي، موقع التجديد العربي: editor@arabrenewal.com

٣٤. عز الدين القسام، موقع كل الطرق، http://www.all-theway.com

٣٥. الشيخ عز الدين القسام قائد حركة و شهيد قضية، حسني أدهم جرار، موقع أدباء الشام، http://www.odabasham.net/show

٣٦. عبد العزيز عرار، القائد العام المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد، موقع ملتقى الصداقة الثقافي. http://www.alsdaqa.com

٣٧. محسن الخازندار، قصة كفاح الشعب الفلسطيني ١٩٣٦-١٩٣٩، موقع دنيا الرأي (Donia Al-Raai - email: pulpit.alwatanvoice@gmail.com.

٣٨. أسامة العيسة، نقلا عن كتاب: عبد الجبار رجا العودة، ثورة الشيخ عز الدين القسام، ٢٠٠١، موقع مؤسسة فلسطين للثقافة. http://www.thaqafa.org/Main/default

٣٩. يوسف فضل، استدارة الظل (٢) موقع الركن الأخضر:

http://www.grenc.com

٤٠. خالد سرحان، ثورة عز الدين القسام ١٩٣٥، موقع:

http://www.alqudsonline

٤١. كل شيء عن النكبة، موقع http://www.amman-dj.com

الهوامش

[١] من حوار الصحفي الفلسطيني عبد الغني الكرمي مع الشيخ عز الدين القسام في جمعية الشبان المسلمين في حيفا.

أنظر: عز الدين القسام، موقع كل الطرق، http://www.all-theway.com

[٢] أنظر: علي حسين خلف، عز الدين القسام، ص ١١.

[٣] هذه العلاقة بين أبو إبراهيم الكبير والشيخ عز الدين القسام عبر عنها الوجدان القومي بلسان الشاعر الشعبي صلاح الدين الحسيني (أبو الصادق) حين غنّى:

أبو إبراهيم بلّغ عز الدين   دمك عربي وقلبه فلسطيني

[٤] يقول رشيد الحاج إبراهيم في مذكراته إن فرع الجمعية في حيفا تأسس مطلع عام ١٩٢٧، برئاسته، وكان الشيخ عز الدين القسام عضوا في الهيئة الإدارية ثم ما لبث أن تولى القسام رئاسته عام ١٩٣٢.

أنظر: المذكرات، ص١٥٠. وانظر: بيان الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص ٢٣٠.

[٥] روى ذلك الصحفي الفلسطيني عبد الغني الكرمي وما حصل له مع الشيخ القسام في جمعية الشبان المسلمين في حيفا. أنظر: عز الدين القسام، موقع كل الطرق،

http://www.all-theway.com

[٦] أنظر: عز الدين القسام، موقع كل الطرق.

[٧] يحدد صبحي ياسين الإطار التنظيمي على النحو التالي:

١. فرع الدعوة: وهو مكون من العلماء الذين يخطبون في المساجد والمجتمعات حضاً على الثورة.

٢. فرع التموين: لشراء السلاح، ومن أبرز أعضائه حسن الباير والشيخ نمر السعدي.

٣. فرع التدريب العسكري: يشرف عليه ضابط ممن خدموا في الجيش التركي.

٤. فرع التجسس على اليهود والانجليز ومن أبرز أفراده ناجي أبو زيد.

٥. فرع العلاقات الخارجية: للاتصالات السياسية ومن أفراده الشيخ محمود سالم المخزومي الذي اتصل بقنصلي ايطاليا وتركيا في القدس، لشراء الأسلحة، كما اتصل بالمفتي الحسيني.

وإضافة إلى اللجان التي ذكرها صبحي ياسين تشكلت لجنة أخرى لجمع التبرعات.

[٨] يقول احد قادة الهاجاناة «تسفي شابيرا» في رسالة وجهها لمسئول في الوكالة اليهودية «شوهم فنكلشتاين» حول العصبة القسامية، أن التحقيقات التي تمت بواسطة شرطة حيفا حول عمليات قتل اليهود في "الياجر" و"كفار هاسيديم" لم تعط نتائج جيدة، ويعزو شابيرا هذا الأمر إلى أن الضباط المسئولين عن التحقيق (عبود ونصر) كانوا لا ساميين، فاستبدلوا بعد حادثة نهلال بأحمد نايف وكلايتمان، بالإضافة إلى مشاركة حليم بسطة الذي نجح في الكشف عن أسماء النشيطين في الجماعة وقبض على (١٢) شخصاً، اتهمتهم الشرطة بموجب المواد (١٤) و(١٥) من القانون الشخصي المعدل لسنة ١٩٢٧م بأنهم قاموا بمؤامرة لقتل يهود في فلسطين.

أنظر: عز الدين القسام، موقع كل الطرق، http://www.all-theway.com

وقد نشرت صحيفة دافار اليهودية تفاصيل عن التحقيقات التي أجريت حول نهلال، فقالت إن من بين الذين القي القبض عليهم: خليل محمد عيسى، حسين محمد حمدي، محمود زعرورة، عز الدين القسام، ذيب ديوان، احمد الحسن، الحاج مصطفى، والشاب عبد الطه.

وعلى الرغم من كل التحقيقات الطويلة والشهادات التي تم جمعها فلم يتم تقديم كل المتهمين للمحكمة، وأسقطت التهم عن القسام وآخرين لعدم وجود أدلة كافية، ومنهم محمود زعرورة فأطلقت المحكمة سراحه، فعاد بعدها إلى عمله في شركة "شل" بحيفا. ولكن المحكمة حاكمت ثلاثة من القساميين خلال شهري تشرين الثاني وكانون الأول عام ١٩٣٣م وهم: مصطفى الأحمد، وحكمت عليه بالإعدام ونفذ الحكم.

احمد الغلاييني، وحكمت عليه بالسجن مدة (١٥) عاماً، قضاها وخرج عام ١٩٤٤.

(حسب أنظمة السجون زمن الانتداب تعتبر سنة السجن مساوية لتسعة شهور فقط).

وبرأت ساحة أبو إبراهيم الكبير، وخلال المحكمة انكشفت أسرار عصبة الشيخ القسام، وأصبحت تحركاته ونشاطاته موضع شك لدى المخابرات والبوليس البريطاني.

[٩] نقلت صحيفة دافار نص شهادة العبد طه أمام المحكمة وقالت انه "كشف النقاب عن كافة أسرار المنظمة السرية التابعة لجمعية الشبان المسلمين في حيفا" .. ففي إجابته على أسئلة المدعي العام أجاب: اشتركت في الاجتماع مع المنظمة السرية. وتم الاجتماع قبل حادثة القتل في نهلال في بيت محمد زعرورة، وكان الحضور: محمود زعرورة، خليل عيسى، احمد الغلاييني، وكنت من بين الحضور. وتم في الاجتماع بحث اغتيال بعض اليهود في مستوطنة نهلال، وقد حضرت اجتماعات سابقة للتنظيم، وكان خليل عيسى يقول: "حرب، نضال، لقد قام الإسلام على الجهاد، وكذلك تم بحث موضوع اغتيال رئيس الطائفة اليهودية في "دار هكرمل" في حيفا، ولكني لا اعرف اسمه. وقال لي خليل عيسى: "هل ترى ذلك البيت المرتفع، إن صاحبه هو الرئيس الكبير لليهود، وفي لاضطرابات كان كل اليهود يختبئون عنده"، هذا ما قاله لي خليل عيسى في طريقنا إلى بيته لحضور الاجتماع. وكشف الطه بأن الشيخ صلاح الحوراني كان عضواً في عصبة القسام، وانه كان

مسئولاً عن ثلاثين فرداً منهم، حضر الطه معهم اجتماعاً، اقسم فيه على القرآن أن لا يخون الجماعة ولا يكشف أسرارها إطلاقاً، وأن يكون مخلصاً لما تقوم به من أعمال، وقبل بعد هذا القسم عضواً في المنظمة. وقال إنهم بعد دخوله الجماعة طلبوا منه حمل متفجرات كانوا يعدونها ووضعها في سيارة متجهة إلى صفورية، وتسليمها إلى منظمة سرية أخرى مشابهة لتلك التي بحيفا. وواضح من شهادته انه كشف أمر خليتين من خلايا عصبة القسام الأولى بحيفا، والحوارني أحد أعضائها، والثانية في صفورية التي طلب منه نقل الأسلحة إليها. كما أنه كشف عن مخططات الجماعة وأهدافها العسكرية. فأدى هذا الأمر، مع تنفيذ حكم الإعدام بحق الأحمد، إلى إيقاف نشاط العصبة إلى أن يتم تجاوز المرحلة الحرجة وحالة الاستنفار لدى المخابرات الانجليزية واليهودية. واستمرت حالة التجميد هذه إلى نهاية عام ١٩٣٥. أنظر: عز الدين القسام، موقع كل الطرق.

[١٠] تبرز في مقدمة هذه الأحداث: زيادة معدلات الهجرة اليهودية بصورة مرعبة، فقد ارتفع الرقم من ٤٠٧٥ مهاجراً عام ١٩٣١ ليصل إلى ٦١٨٥٤ عام ١٩٣٥. واكتشاف باخرة صهيونية ضخمة محملة بالأسلحة في ميناء حيفا، ومصادرة الأراضي واستمرار الاستفزازات اليهودية وتحيز السلطات البريطانية. والتدهور الكبير في الظروف المعيشية وتفشي البطالة... الخ... أنظر: عبد القادر ياسين، ص ١٤٩.

[١١] أنظر: عز الدين القسام، موقع كل الطرق.

[١٢] يقول رشيد الحاج إبراهيم في مذكراته: "كنت على علم بالموعد الذي قرره الشيخ المجاهد عز الدين بداية للثورة، وكانت أخبار تنقلاته تصل إلي يوميا يوما بعد يوم" ص ١٥٤، ويضيف: " لم يكن أحد من زعماء البلاد ووجهائها يعلم بأمر من أمر هذه الحركة عدا القائمين بها وغيري شخصيا". ص ١٥٧ . وجدير بالذكر أن الرجلين أسسا وقادا معا

عام ١٩٢٧ حركة الأخوان المسلمين في حيفا، وكان رشيد الحاج أول رئيس لها ثم تولاها بعده الشيخ القسام عام ١٩٣٢. ص ١٥٠.

[١٣] مذكرات عجاج نويهض ستون عاما مع القافلة العربية، إعداد بيان نويهض الحوت، دار الاستقلال، بيروت، ١٩٩٣. ص ٣٢٦.

[١٤] يقول إبراهيم الشيخ خليل مؤكداً هذا السبب: "في أوائل ١٩٣٥ رأى القائد أن المستعمر يراقب تحركات القساميين مراقبة دقيقة، وبأنه سيعتقل النخبة الصالحة من إخوانه ويفسد جميع مخططات الثورة قبل أن تظهر للمواطنين، وكان يرى الخروج للجبال والطواف بالقرى، وحث المواطنين على شراء السلاح والاستعداد للثورة". انظر: مجلة شؤون فلسطينية العدد ١٧.

وفي معرض رد القسامي حسن شبلاق على سؤال وجه اليه: لماذا خرج القسام يومذاك؟؟ قال: "خاف ان يعتقل، فخرج الى الجبل". أنظر: بيان الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية، ص ٣٢٦.

[١٥] أنظر: عز الدين القسام موقع كل الطرق

[١٦] استناداً إلى مختلف المصادر ومنها صبحي ياسين (الثورة العربية) وعرفات حجازي (فلسطين ارض البطولات) انه خرج في ١٢/ ١١/ ١٩٣٥، فيما ذكر أهرون كوهين (أحداث تشرين الثاني) بأن المجموعة تركت حيفا في ٧/ ١١/ ١٩٣٥ ، بينما ذكر البلاغ الرسمي البريطاني التاريخ على انه بداية شهر تشرين الثاني وجاء في جريدة الجامعة الإسلامية على لسان المجاهد نمر السعدي أن الجماعة تركت حيفا قبل ١١/٢٠ بشهر تقريباً. أما أسماء الذين تركوا المدينة ورافقوا الشيخ حسب ذاكرة عربي البدوي ومن خلال جرد الصحف الفلسطينية في تلك الفترة، فهم ١٦ شخصا:

١. يوسف عبد الله الزيباوي، من قرية الزيب

٢. عطيفه احمد المصري، من سكان حيفا وهو من مصر

٣. محمد ابو قاسم خلف، من قرية حلحول

٤. فرحان السعدي، من شفا عمرو.

٥. نمر السعدي، من شفا عمرو، وهو ابن عم فرحان السعدي

٦. حسن البابر، من برقين

٧. احمد الحاج عبد الرحمن حسن، من عنبتا

٨. محمد يوسف، من سولم

٩. اسعد مفلح الحسين، من أم الفحم

١٠. محمود سالم، من سكان زرعين

١١. صالح اسعد، من صفورية

١٢. داود خطاب، من الكباير

١٣. معروف الحاج جابر، من يعبد

١٤. يوسف ابو درة، من سيلة الحارثية

١٥. داود الشيخ احمد، من بيتا

١٦. الحاج احمد الخليل،

١٧. عربي بدوي، من قبلان

[١٧] تنقل جريدة فلسطين بتاريخ ١٩٣٥/٣/١ نقلاً عن تقارير البوليس عن خطبة للقسام في قرية فقوعة: "بعد خروجه من حيفا اخذ القسام يتجول في القرى ويخطب فيها حول تهريب بواخر الأسلحة لليهود، وبتغاض كامل من بريطانيا، ويدعو إلى حق العرب إلى امتلاك السلاح".

[١٨] انظر: إبراهيم الشيخ خليل، مجلة شؤون فلسطينية العدد ١٧.

[١٩] كانت إصابة إبراهيم أبو دية في عموده الفقري، وتحمل بقوة وشجاعة آلاما مبرحة، كما ذكر أبو إبراهيم الكبير، وتوفي بتاريخ ٦/٣/ ١٩٥٢.

[٢٠] أعلن في ٩ تشرين أول ١٩٣٦ النداء الملكي التالي: القدس بواسطة اللجنة العربية العليا.

إلى أبنائنا عرب فلسطين: لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله ندعوكم للإخلاد إلى السكينة حقناً للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة الإنجليزية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم.

وبناء عليه قررت اللجنة العربية العليا بالإجماع وبعد استشارة مندوبي اللجان القومية والحصول على موافقتهم أن تلبي النداء وتدعو للإخلاد إلى السكينة وإنهاء الإضراب والاضطرابات ابتداءً من صباح الاثنين الواقع ١٢تشرين أول ١٩٣٦. وتوقفت الثورة.

ثم أصدرت لجنة "بيل" تقريرها في ٧ تموز ١٩٣٧ مرفقاً ببيان دعت فيه إلى مشروع التقسيم وخلاصته تقسيم فلسطين إلى ثلاث دول. على أن يكون الجليل باعتباره منطقة هادئة جزءا من الدولة اليهودية.

[٢١] تروي المصادر التاريخية عن معركة عرابة البطوف وما تلاها بأنه قد عقد اجتماع عام لسائر قادة مناطق الجليل، بقيادة القائد العام الشيخ خليل محمد عيسى ومكثوا ليلة ٢٨ كانون أول ١٩٣٧ في قرية عرابة، وكان من المتفق عليه بين الحرس إطلاق ثلاث عيارات نارية عند قدوم الأعداء، وعند الصباح بينما كانوا يتناولون طعام الإفطار سمعوا صوت ثلاثة عيارات متتالية فتوجه الشيخ خليل محمد عيسى وفصيل القيادة إلى

منطقة الاطلاق في الشمال الشرقي ومعه القائد عبد الله الأصبح، وتوجه فصيلا محمود سالم وتوفيق إبراهيم باتجاه مسلخيت فشاهدوا خيالة معززين بطائرتين ويقتربون بسرعة نحوهم فجرت معهم معركة استشهد فيها الشيخ يوسف أبو حريرة من أبناء المجيدل وجرح الشيخ نايف مصلح من أبناء صفورية والشيخ مسعود نصار من اجزم والشيخ درويش من بلد الشيخ ورجا حسين الطه من عرب المواسي والرابع من مرافقي القائد العام وقد أصيبوا برصاص الطائرة التي تمكن الثوار من إسقاطها في بيسان قرب بلدة سمخ وقتل طيارها الإنجليزي كما قتل وجرح عدد من الجنود واستولى الثوار على ثلاثة خيول وكمية من الذخيرة وبعض قطع السلاح، وأثناء الليل تم انسحاب عام للثوار.

أنظر: محسن الخازندار، قصة كفاح الشعب الفلسطيني ١٩٣٦-١٩٣٩، موقع دنيا الرأي (Donia Al-Raai - email: pulpit.alwatanvoice@gmail.com.

[٢٢] عن معركة القديرية يروي ذات المصدر أن الثوار انسحبوا من عرابة البطوف إلى مضارب عرب القديرية على مقربة من ساحل بحيرة طبريا الغربي ونزل القائد الشيخ خليل محمد عيسى في منزل الأمير خالد معجل و توزعت الفصائل الأخرى على بيوت البدو وقبيل الفجر جاء أحد رجال مخابرات الثورة وأعلم القيادة أن الجيش الإنجليزي سيقوم بعملية تطويق واسعة للقضاء على الثوار وأنه شاهد تجمعات عسكرية كثيفة في جبل الجرمق قرب مدينة صفد وعلم من آخرين وجود تحركات عسكرية من مدن الناصرة طبريا

التي هبت من القرى المجاورة، وجرت معركة كبيرة من أكبر معارك فلسطين انقض فيها الثوار على القوات الإنجليزية في ٣٠ كانون أول ١٩٣٧، وحسمت المعركة، حيث انسحبت القوات الإنجليزية تاركة خلفها أسلحة وذخيرة ومنظار قائدهم الذي قتل، أسفرت

المعركة عن قتل وجرح أكثر من مائة وعشرون جندياً إنجليزياً واستشهد خمسة عشر من الثوار، كانت نتيجة المعركة هزيمة للقوات الإنجليزية ولكن ذخيرة الثوار نفذت فاضطروا للانسحاب ليلاً إلى جبال قرية ميروس قرب مدينة صفد.

أنظر: محسن الخازندار، المصدر السابق

[٢٣] هذه الحقيقة البسيطة مارسها بوعي مبكر الشيخ عز الدين القسام حين اعتمد في ٩٠٪ من أعضاء ثورته من العمال والفلاحين، لأنهم كانوا أكثر قدرة على تحمل المشاق وأكثر استعدادا للتضحية أنظر: عجاج نويهض الحوت: رجال فلسطين من بداية القرن حتى عام ١٩٤٨م، بيروت، مطابع الكرمل، ١٩٨١م، ص٣٢٤. وروى الصحفي عبد الغني الكرمي ما قاله له الشيخ القسام: أنظر لقد أشتعل رأسي شيباً وخبرتي الطويلة تجعلني أرجو خيراً من الفلاحين والعمال فهم واثقون بالله، مؤمنون بجنات الخلد واليوم الآخر، ومن كانت هذه صفاته كان أقرب الناس إلى التضحية وأكثرهم جرأة وإقداما، أضف إلى ذلك أنهم أقوى بنية وأكثر احتمالاً للمشاق والمتاعب. أنظر: عز الدين القسام، موقع كل الطرق.

[٢٤] يذكر أكرم زعيتر في يومياته، دون الإشارة لمصدر "أن هذا الفدائي من قرية قباطية واسمه محمد ويلقب بالغزال، لرشاقة حركاته، وأنه بعد اغتيال موفات خرج يصيح: "الله وأكبر" وتنحى الناس من طريقه ولكن قوة بريبطانية تعقبته وأطلقت النار عليه وقتلته" أنظر اليوميات ص ٤٣٨ .

وقد وردت حادثة مقتل 'موفات في رواية أخرى بأن موفات وهو حاكم جنين كان شديداً على الأهالي فأرسل إليه القائد القسامي يوسف أبو درة رسالة جاء فيها 'إذا لم تحسن سلوكك مع الأهالي خلال ثمانية أيام فسأقتلك"، ولكن موفات ركب رأسه واستمر، ولكنه قام بنقل سكنه إلى معسكر الجيش البريطاني خارج جنين وشدد الحراسة عليه وأحاط بنفسه

بمجموعات من الجنود والمصفحات ولم يبق أي إمكانية للاعتداء عليه ولكن القائد يوسف أبو درة كان صادقاً في وعيده فبعد ثمانية أيام تماماً أرسل إليه اثنين من المجاهدين تسلق أحدهما أنابيب المياه حتى وصل الدور الذي به موفات ثم دخل عليه وأفرغ فيه رصاص مسدسين كانا معه واستمر يطلق الرصاص دون أن يتردد أو يخاف ثم ترك المكان وقام الآخر بإطلاق الرصاص خارج المبنى لتغطية الانسحاب.

أنظر: محمد نور الدين، كتاب يوميات الثورة الفلسطينية ١٩٣٦، موقع غزتنا في القلب.

[٢٥] فصائل السلام شكلها فخري النشاشيبي وجند معاونيه لضرب مؤيدي المفتي "الحاج أمين الحسيني، وقد صدر بيان موقع من ديوان الثورة العربية الكبرى بأنه يبيح دم ومال كل مشايع لفخري النشاشيبي لخروجه على إجماع الأمة والقضية الوطنية لاتفاقه مع الإنجليز والصهيونية وهو متهم بالخيانة الكبرى، أنظر: مصطفى داود كبها، ثورة ١٩٣٦، ص٩٥.

[٢٦] صار فخري عبد الهادي من بين أبرز قادة فصائل "السلام"، ولكن سبق له ممارسة دور قيادي إيجابي في ثورة ١٩٣٦، إلى جانب فوزي القاوقجي إلا أن خلافه مع الحسيني والهيئة العليا في دمشق جعله ينقلب ضد الثورة إلى جانب فخري النشاشيبي، وقد وصل الخلاف ما بين الثوار وفخري عبد الهادي إلى حد أن الثوار بعد مهاجمته في بلدته عرابه كانوا يصدرون بلاغات يعلنون فيها " إن المجاهدين قاموا بالهجوم على مستعمرة عرابة !!". وبعد نهاية الثورة في عام ١٩٣٩ وبتاريخ ١٣\٤\١٩٤٣ أقام في بلدته عرابه احتفالا بمناسبة زواج ابنه حضره المندوب السامي وكبار أركان الدولة الإنجليزية وآلاف المدعوين من الأعيان ورجال السلطة في فلسطين حيث تم نحر ٥٠٠ خروف وآلاف

الطيور، وفي أثناء الاحتفال تقدم منه أحد أقاربه وأطلق عليه النار فقتله على الفور. أنظر: يوسف فضل، استدارة الظل (٢) موقع الركن الأخضر: http://www.grenc.com

[٢٧] يذكر المؤرخ زياد منى، أنه "بعد انتهاء الثورة انسحب أبو درة إلى دمشق ومنها إلى الأردن، فاعتقله الأردنيون وكان ذلك يوم ١٩٣٩/٧/٢٥م وحسب بلاغ الحكومة الأردنية آنذاك "إن دورية من الجيش العربي كانت تحرس الأنابيب بسبب عطل طرا عليها منذ أسبوع، فقبضت على ثلاثة أشخاص اشتبه بهم، وقد تبين من التحقيق معهم أن أحدهم، يوسف أبو درة، من فلسطين والحكومة تتدبر أمر إقامتهم إقامة جبرية في الكرك"، وسلمه قائد الجيش جلوب باشا، للمحتلين البريطانيين، الذين أعدموا أبا درة في القدس يوم ١٩٣٩/٩/٣٠(نقلا عن عبد العزيز عرار، القائد العام المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد، موقع ملتقى الصداقة الثقافي).

ويذكر أكرم زعيتر أن يوسف أبو درة ورجاله كانوا وراء مئات العمليات الفدائية، وكان رأسه مطلوبا لقوات الاحتلال البريطاني، التي جندت العملاء لرصد تحركاته وقتله.

أنظر: يوميات أكرم زعيتر، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٠. ص ٥٤٣.

[٢٨] ينقل أسامة العيسة عن كتاب(الكبابير) لعبد الله عودة: "في أحد الأيام أنفذ القائد رشيد الحاج رسالة بالخط الأحمر يطلب فيها من أهل الكبابير دفع ٥٠٠ ليرة فلسطينية في الحال، وكان ذلك من المستحيلات فأنفذ أهل القرية الشيخ رشيد لشرح الأمر، فرفض مقابلته، وفي مساء ذلك اليوم انتهز وقت صلاة العشاء وأسر خمسة من المصلين في المسجد كرهائن إلى أن يدفع المبلغ، وتدخل أحد أهالي الطيرة ودفع خمسين ليرة تحت الحساب وعاد الرهائن إلى منازلهم، ولم يمهل الزمن رشيد الشيخ ليطالب أهل الكبابير أو غيرهم بضرائبه الباهظة، فبعد نحو أسبوع قتل رميا بالرصاص.. وانصرفوا مع الرهائن باتجاه الطيرة".

أسامة العيسة، أنظر: موقع مؤسسة فلسطين للثقافة.

[٢٩] عقد مؤتمر دير غسانة في منتصف شهر ايلول من العام ١٩٣٨ لإعادة اللحمة بين قادة الفصائل، وتم الاجتماع في منزل عمر صالح البرغوثي وحضره جميع قادة الفصائل من بينهم عبد القادر الحسيني وعبد الحليم الجيلاني والشيخ المزرعاوي. وقد نجح المؤتمر وأعلن عن تشكيل مجلس لقيادة الثورة، من محمد صالح الحمد وعبد الرحيم الحاج محمد وعارف عبد الرازق وحسن سلامة ويوسف أبو درة. أنظر: عبد العزيز عرار، القائد العام المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد، موقع ملتقى الصداقة الثقافي.

[٣٠] في يومياته يروي أكرم زعيتر بأن الإنجليز علموا بالاجتماع وقصفوا المكان بالطائرات كما قاموا بتطويق المجتمعين لكن "أبو خالد ورجاله استطاعوا فك الحصار المفروض على دير غسانة، غير أن القوات البريطانية استطاعت تطويقه قرب قرية سرطة في جبال نابلس، فخاض معركة استشهد فيها مع أربعة من رفاقه". (ص ٤٥٢)

[٣١] هذه الممارسات لا تعني أن أصحابها جميعا بالضرورة هم في خندق الأعداء، بل أن ممارساتهم السلبية انعكست ضررا كبيرا على الثورة، ويكفي أن نشير هنا إلى أن فارس العزوني رغم ما ارتكب من جرائم كان قد حكم عليه بالأشغال المؤبدة ثم فر من سجن عكا، وبأن الإنجليز داهموا قريته وقصفوها، وفي عام ١٩٣٨ قاموا بهدم بيته وباعتقال زوجته ووالدته في محاولة لتحطيم معنوياته، وبعد معركة الوادات نجا من الموت وخرج إلى سوريا لكن سلطات الانتداب الفرنسي اعتقلته في طرابلس الشام وسلمته إلى حكومة الانتداب التي قامت بإعدامه شنقا في عكا أواخر سنة ١٩٣٩.

أنظر: عبد العزيز أمين عرار، كتاب فارس العزوني، جمعية كفر ثلث الخيرية، ٢٠٠٥ .

ويذكر بأن عارف عبد الرزاق كان مطلوبا للإنجليز ففر هاربا خارج فلسطين وانتهى به المطاف في بلغاريا حيث أفلست شركته وتبخر المال الحرام الذي جمعه من دماء الأبرياء. وقد عاش بعدها مريضاً فقيراً قبل أن يقضي نحبه هناك. وورد في الويكيبديا التي أوردت ذلك أن القائد عارف عبد الرزاق كان له تابع حجازي اسمه مسلم وكان سفاحاً قاسياً فأخذ يفرض على الناس أتاوات كبيرة (من أجل دعم الثورة) كما يزعم وكان هذا ممنوعاً ومن كان يتأخر عن الدفع يقوم مسلم بقتله. أنظر: الويكيبديا، سامي طه.

[٣٢] ولكن صبحي ياسين يذكر في كتابه "الثورة العربية الكبرى في فلسطين" أن القسام اتصل من خلال محمود سالم بالشيخ موسى العزاوي أحد معاوني الحاج أمين وأعلمه عن رغبة القسام بأن يشرع المفتي في الإعداد للثورة في جنوب فلسطين، فكان جواب الحاج أمين بواسطة العزاوي "إن الوقت لم يحن بعد" ويذكر عوني العبيدي في كتابه "صفحات من حياة الحاج أمين الحسيني، أن سماحته "كان يرى حل القضية الفلسطينية بأقل ما يمكن من الجهد والتضحية بعيداً عن الحل العسكري". ص ٧١.

[٣٣] يؤكد الحاج أمين الحسيني في مذكراته، أنه سافر تهريباً عبر الصحراء، ودون علم الفرنسيين أو العراقيين، وبأنه وصل بغداد يوم ١٥ تشرين الثاني ١٩٣٩، ص ٥٠.

[٣٤] كان المفتي عام ١٩٣٧ في القدس مطلوبا ومطاردا من البريطانيين، فاضطر للهبوط عن أسوار المدينة بواسطة حبل طويل، وهو متنكر بملابس بدوي، ليتمكن من الهرب إلى بيروت، بعد ذلك قامت سلطات الانتداب بحل الهيئة العربية العليا واعتقال أنصارها ونفي قادتها. أنظر مذكرات الحاج الحسيني ص ٣١ و٣٢. ويذكر المفتي في مذكراته أن سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين، حين اندلعت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ قد طالبت سلطات الانتداب الفرنسي في لبنان بتسليمها المفتي الحسيني فاضطر

للمغادرة إلى العراق. المصدر السابق ص ٤٧.

[٣٥] كان الاحتلال البريطاني قد رصد مكافأة مقدرها ٥٠٠ جنيه إسترليني لمن يرشد عن أبو إبراهيم الكبير، كما رصد مكافآت أخرى لغيره من القيادات منها: عطية أحمد عوض ٥٠٠ جنيه، عارف عبد الرزاق ٢٥٠ جنيه، يوسف أبو درة ٢٥٠ جنيه وقد سلمه الجنرال "جلوب" القائد الإنجليزي للجيش الأردني عام ١٩٤٠، لقوات الجيش البريطاني في فلسطين حيث أعدم. ورصدت مكافأة ١٠٠ جنيه لمن يرشد عن توفيق الإبراهيم (أبو إبراهيم الصغير) وعبد الله الشاعر.. الخ.. أنظر: خالد سرحان، ثورة عز الدين القسام ١٩٣٥، موقع: http://www.alqudsonline

[٣٦] شهادة أبو إبراهيم عن محدودية الدور الفلسطيني في ثورة الكيلاني، رغم وجود مئات المناضلين واستعدادهم للتضحية، تطرح الكثير من الأسئلة، ويبدو كما يؤكد عبد اللطيف الكفل في مذكراته أن أيد خفية كانت تدير الأمور لمصلحة البريطانيين.. حيث كان ذو الكفل مطل على ما يحدث فهو يشغل موقع قائد قوة البادية، التي حركها المفتي الحسيني، تحت إمرة فوزي القاوقجي، كي تلاقي قوات بادية كلوب باشا في الصحراء، وتمنعها من الوصول لبغداد، ملمحا ومصرحا عن مسئولية القاوقجي عما حدث. ص ٤٥-٦١.

[٣٧] من المعروف آنذاك انه وجد، في المناطق الألمانية، عدة معسكرات لتدريب العرب حسب مؤهلاتهم أو اختصاصاتهم العسكرية، وأحيانا للمشاركة في دورات عسكرية متخصصة في معسكرات ألمانية للحصول على معارف حربية وعلمية مثل الألغام والمتفجرات ومقاومة المصفحات، أنظر: ذو الكفل عبد اللطيف، مذكراتي، ص ٨٧. وأنظر كذلك مذكرات الحاج أمين الحسيني، ص١٢٢و ١٢٣و ١٤٥.

[٣٨] بالطبع فإن أبو إبراهيم في مذكراته يروي ما عرفه أو سمعه في تلك الفترة، وبما

يتصل بالجانب العملي والحياتي من تجربته، في المقابل يروي المفتي في مذكراته بأن اللقاء بهتلر، والذي عقد في ٢١ تشرين

الثاني ١٩٤١ قد استغرق ساعة وخمس وثلاثون دقيقة، قدم المفتي خلالها مطالب العرب بالاستقلال وإنقاذ فلسطين من مؤامرة الوطن اليهودي، وكان قد سبقه لقاء مشابه مع موسوليني في إيطاليا، قبل حوالي الشهر، وفي لقائه الثاني عرض أمين الحسيني على "هتلر" ، تكوين جيش عربي إسلامي من المتطوعين في الشمال الأفريقي وشرق المتوسط لمقاومة الحلفاء، وطالب بفتح أبواب الكليات العسكرية الألمانية لتدريب الشباب العربي والفلسطيني، والحصول على أكبر كمية من الأسلحة وتخزينها، استعداداً لمرحلة قادمة، وقد تم بالفعل تخزين السلاح في مصر وليبيا وجزيرة رودس.

وقد نتج عن هذه اللقاءات رسائل اعتراف رسمية بالحقوق العربية من وزيري خارجية البلدين الألماني روبنتروب والإيطالي الكونت شيانو).

[٣٩] عبد اللطيف هذا هو (ذو الكفل عبد اللطيف) الذي روى تفاصيل العملية واسمها "هانيبال" في كتابه "مذكراتي" وكيف هبط من في الطائرة بالمظلات في وادي القلط بالغور، وكان إلى جانب ذو الكفل وحسن سلامة ثلاثة ضباط ألمان كانوا من قبل في فلسطين ويجيدون اللغة العربية. ولكن العملية التي تمت في بداية تشرين أول ١٩٤٤ منيت بالفشل، واعتقل ذو الكفل وضابطان ألمانيان ونجا حسن سلامة وضابط ألماني.

[٤٠] الشيخ تقي الدين النبهاني من مواليد عام ١٩١٤، في قرية إجزم في فلسطين، أسس حزب التحرير مطلع ١٩٥٣، نال الشهادة العالمية في الشريعة من جامعة الأزهر عام ١٩٣٢، وعمل قاضياً في محكمة الاستئناف في القدس، توفيّ عام ١٩٧٧.

[٤١] ضمت اللجنة العسكرية كذلك المقدّم شوكت شقير من سوريا، والرئيس وصفي

التل عن الأردن للعمليات. أنظر: كل شيء عن النكبة، موقع -http://www.amman dj.com

[٤٢] ولد أديب الشيشكلي عام ١٩٠٩ في مدينة حماه ، تخرج من المدرسة الحربية في دمشق، تطوع في جيش الشرق الفرنسي، وكان على رأس لواء اليرموك الثاني بجيش الإنقاذ في فلسطين سنة ١٩٤٨. اشترك مع حسني الزعيم في الانقلاب الأول في ٣٠ مارس١٩٤٩ ، لكنهما اختلفا، فاشترك مع سامي الحناوي في الانقلاب الثاني في ١٤ مايو ١٩٤٩، وبات رئيسا للجمهورية. اغتيل في البرازيل عام ١٩٦٤. وكان معه في جيش الإنقاذ شقيقه النقيب صلاح الشيشكلي.

[٤٣] هناك رواية وتفاصيل أخرى للقاوقجي عن معركة جدين، يعطي فيها دورا قياديا مباشرا للشيشكلي، وذكر فيها أن عدد الشهداء بلغ ١٨. أنظر مذكرات فوزي القاوقجي ص ٣٤٤.

[٤٤] ابتدأت المعركة بنجاح في ٤ نيسان ١٩٤٨، وحين صار بالإمكان الإطباق على المستعمرة واحتلالها وأسر سكانها، صدر أمر غير مفهوم من القاوقجي بوقف العملية مما أوقع الخلاف بين النقيب مأمون البيطار الذي اعترض على وقف المعركة وبين القيادة، وقد استشهد البيطار في هذه المعركة. أنظر: مذكرات الفريق عفيف البزري، موقع على الانترنت، http://whois.domaintools.com/albizri.com

وانظر: مذكرات فوزي القاوقجي، اعداد د.خيرية قاسمية، دار النمير، دمشق، ١٩٩٥، ص ٣٦٢-٣٦٤.

[٤٥] الإشارة هنا لعمليات كتيبة الفدائيين التي انطلقت، بأمر من جمال عبد الناصر، عام ١٩٥٥، وكان يقودها الضابط المصري مصطفى حافظ الذي استشهد في غزة،

١١ تموز ١٩٥٦. أنظر: أسامة العيسة، كم طلقة في مسدس الموساد؟ موقع: http: .//www.freewebs.com/gazaarab

[٤٦] الشيخ فرحان السعدي، من قرية المزار قضاء جنين، نائب القسّام وأقرب المقربين له، قاد أول الفصائل المسلحة في ثورة ١٩٣٦ تحت اسم "إخوان القسّام "، أعدمته السلطات البريطانية عام ١٩٣٧ وهو صائم وقد شارف على الثمانين.

[٤٧] عطيه احمد عوض، قسامي وقائد منطقه جنين في ثوره ١٩٣٩ _١٩٣٦ ولد في قرية بلد الشيخ ثم انتقل إلى مدينه حيفا حيث اشتغل في أعمال مختلفة وهناك تعرف على الشيخ عز الدين القسام فانضم إلى حلقته، بعد استشهاد القسام اخذ يؤسس فصائل من الشبان المستعدين للقتال وبدأ ينظمهم ويدربهم متعاونا مع أبو إبراهيم الكبير، خاض عددا كبيرا من المعارك ضد القوات البريطانية، وفي أوائل شهر آذار ١٩٣٨ اشتبك مع القوات البريطانية في معركة اليامون قرب جنين والتي استمرت يوما كاملا حيث سقط شهيدا في تلك المعركة مع عدد من مقاتليه.

[٤٨] الشيخ رشيد عبد الشيخ،[٤٨] من الطيرة استشهد في إجدى معارك ثورة الـ ١٩٣٦ كان يعمل تحت قيادة الشيخ عطية عوض، وفي أثناء الثورة تأسس في الطيرة فصيل كبير بقيادة الشيخ رشيد وقد اشترك هذا الفصيل في عدة معارك منها معركة أم الدرج ومعركة أم الفحم ومعركة لد العوادين ومعركة أم الزينات. كما وشارك في اقتحام سجن عتليت.

[٤٩] محمود سالم، أصله من مدينة الرملة، عمل في شركة النفط العراقية ثم حارساً في محطة القطار بحيفا.

[٥٠] يروي حسن الباير: أنا من قرية بلقيس وكنت أسرق وأرتكب المحرمات فجاءني الشيخ عز الدين القسام وأخذ يهديني ويعلمني الصلاة، وقبل مدة أخذني إلى أحد جبال بلقيس

وهناك أعطاني بندقية وقال: لأجل أن تتمرن عليها وتجاهد مع إخوانك. والباير من أوائل الذين التحقوا بالجمعية السرية وأحد الذين اعتقلوا عقب معركة "أحراش يعبد"، وحكم عليه بالسجن ١٤ عاما.

[٥١] أحمد الغلاييني، كان يعمل سمكريا في مدينة حيفا، وهو أحد الذين نفذوا عملية نهلال التي اعتقل أبو إبراهيم بسببها، وقد حكمت عليه سلطات الاحتلال بالسجن مدة (١٥) عاماً، قضاها وخرج عام ١٩٤٤.

[٥٢] حسن سلامه، أحد قادة ثورة الـ ٣٦ الفلسطينية الكبرى تولى قيادة منطقة اللد / الرملة ثم أضيفت اليها منطقة يافا، قام بعمليات عسكرية متعددة منها نسف قطار اللد ـ حيفا سنة ١٩٣٨، شارك مع عبد اللطيف الكفل وثلاثة من الضباط الألمان بعملية هانيبال حين نزلوا في المظلات في أريحا. حين أعلن قرار تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧ أسندت إليه قيادة القطاع الغربي في المنطقة الوسطى من فلسطين ثم أضيفت لها منطقة القدس بعد استشهاد القائد عبد القادر الحسيني في معركة القسطل يوم ٧-٤-١٩٤٨ ، فخاض عددا من المعارك كان النصر حليفه في معظمها ، وفي معركة رأس العين البطولية أصيب بجراح بالغة، وتوفي بتاريخ ٢-٦-١٩٤٨.

[٥٣] ولد نوح ابراهيم، عام ١٩١٣ في حيفا، وعاش يتيماً، ربته راهبة نصرانية تدعى "سمبل"، ترك دراسته الابتدائية وعمل في إحدى المطابع. وهو الشاعر الشعبي لثورة الـ ١٩٣٦.عرف القسام وتوثقت صلته به، اشترك مع الثورة في معارك جبال الجليل. اعتقل عدة مرات، استشهد في معركة طرة، إحدى معارك الجليل، عام ١٩٣٨. وجرت المعركة حين كانوا قادمين من قرية كابول ومتجهين صوب قرية كوكب أبو الهيجاء، ورغم الكمين الإنجليزي المفاجئ فقد قاوم نوح ورفاقه ببسالة إلى أن استشهدوا جميعاً.

[٥٤] تقول كلمات الموال الذي كتبه نوح إبراهيم في رثاء يوسف أبو درة:

" فلسطين لا تفزعي   نجمك في السما درة

حولك فوارس   يوم المواقع درة

ثوار حايزين النصر   صيتهم بالدنيا لمع

يهاجموا الأعداء   وسيوفهم تضوي لمع

إسلام ونصارى   نجمهم بالسماء لمع

يا رب نصرك ما دام رئيسهم أبو درة".